التفاعل الثقافي والهوية: الدراسة في أدب الرحلة على أساس نظرية ماري لويز برات في الرواية ''من إسطنبول إلى قرطبة" لأحمد فاضل شبلول

بحث جامعي

إعداد:

نينتا كارينا بيروتو

رقم القيد: ٢٢٠٣٠١١١٠١١٩

قسم اللغة العربية وأدبها

كلية العلوم الإنسانية

جامعة مولانا مالك إبراهيم الاسلامية الحكومية مالانج

٢٠٢٦

التفاعل الثقافي والهوية: الدراسة في أدب الرحلة على أساس نظرية ماري لويز برات في الرواية ''من إسطنبول إلى قرطبة" لأحمد فاضل شبلول

بحث جامعي

مقدمة لاستيفاء شروط الاختبار النهائي للحصول على درجة سرجان **(S-1)**

في قسم اللغة العربية وأدبها كلية العلوم الإنسانية

جامعة مولانا مالك إبراهيم الإسلامية الحكومية مالانج

إعداد:

نينتا كارينا بيروتو

رقم القيد: ٢٢٠٣٠١١١٠١١٩

المشرف:

الدكتور عبد الباسط، الماجستير

رقم التوظيف: ١٩٨٢٠٣٢٠٢٠١٥٠٣١٠٠١

قسم اللغة العربية وأدبها

كلية العلوم الإنسانية

جامعة مولانا مالك إبراهيم الاسلامية الحكومية مالانج

٢٠٢٦

تقرير الباحثة

أفيدكم علما بأنني الطالبة :

الاسم : نينتا كارينا بيروتو

رقم القيد : ٢٢٠٣٠١١١٠١١٩

موضوع البحث : **التفاعل الثقافي والهوية: الدراسة في أدب الرحلة على أساس نظرية ماري لويز برات في الرواية "من إسطنبول إلى قرطبة" لأحمد فاضل شبلول**

أحضرته وكتبته بنفسي وما زدته من إبداع غيري أو تأليف الآخر. وإذا ادعى أحد في المستقبل أنه من تأليفه وتبين أنه من غير بحثي، فأنا أتحمل المسؤولية على ذلك ولن تكون المسؤولية على المشرف أو مسؤولي قسم اللغة العربية وآدابها كلية العلوم الإنسانية جامعة مولانا مالك إبراهيم الإسلامية الحكومية مالانج.

تحريرا بمالانج، ١٣ مايو ٢٠٦٢

الباحثة

نينتا كارينا بيروتو

رقم القيد : ٢٢٠٣٠١١١٠١١٩

تصريح

هذا تصريح بأن رسالة البكالوريوس للطالبة باسم نينتا كارينا بيروتوتحت العنوان: **التفاعل الثقافي والهوية: الدراسة في أدب الرحلة على أساس نظرية ماري لويز برات في الرواية "من إسطنبول إلى قرطبة" لأحمد فاضل شبلول** قد تم بالفحص والمراجعة من قبل المشرف وهي صالحة للتقديم إلى مجلس المناقشة لاستيفاء شروط الاختبار النهائي وذلك للحصول على درجة البكالوريوس في قسم اللغة العربية وآدابها كلية العلوم الإنسانية جامعة مولانا مالك إبراهيم الإسلامية الحكومية مالانج.

مالانج، ١٣ مايو ٢٠٢٦ م

الموافق

المشرف

الدكتور عبد الباسط، الماجستير

رقم التوظيف: ١٩٨٢٠٣٢٠٢٠١٥٠٣١٠٠١

رئيس قسم اللغة العربية وأدبها

الدكتور عبد الباسط، الماجستير

رقم التوظيف: ١٩٨٢٠٣٢٠٢٠١٥٠٣١٠٠١

المعرّف

عميد كلية العلوم الإنسانية

الدكتور الحاج محمد فيصل، الماجستير

رقم التوظيف: ١٩٧٤١١٠١٢٠٠٣١٢١٠٠٣

تقرير لجنة المناقشة

لقد تمت مناقشة هذا البحث الجامي الذي قدمتها:

الاسم : نينتا كارينا بيروتو

رقم القيد : ٢٢٠٣٠١١١٠١١٩

العنوان : **التفاعل الثقافي والهوية: الدراسة في أدب الرحلة على أساس نظرية ماري لويز برات في الرواية "من إسطنبول إلى قرطبة" لأحمد فاضل شبلول**

وقررت اللجنة نجاحها واستحقاقها درجة سرجانا (S-1) في قسم اللغة العربية وأدابها لكلية العلوم الإنسانية بجامعة مولانا مالك إبراهيم الإسلامية الحكومية مالانج.

تحريرا بمالانج، ٢٦ مايو ٢٠٦٢

لجنة المناقش :

رئيس المناقش: الدكتور أحمد ديني هداية الله الماجستير ( )

رقم التوظيف: ١٩٨٥٠٣٢٩٢٠٠٩٠١١٠٠٥

المناقش الأول: الدكتور عبد الباسط، الماجستير ( )

رقم التوظيف: ١٩٨٢٠٣٢٠٢٠١٥٠٣١٠٠١

المناقش الثاني: الدكتور عبد المنتقم الأنصاري، الماجستير ( )

رقم التوظيف:١٩٨٤٠٩١٢٢٠١٥٠٣١٠٠٦

المعرف

عميد كلية العلوم الإنسانية

الأستاذ الدكتور محمد فيصل، الماجستير

رقم التوظيف: ١٩٧٤١١٠١٢٠٠٣١٢١٠٠٣

استهلال

هُوَ الَّذِي جَعَلَ لَكُمُ الْأَرْضَ ذَلُولًا فَامْشُوا فِي مَنَاكِبِهَا وَكُلُوا مِنْ رِزْقِهِ

"Dialah yang menjadikan bumi itu mudah bagi kamu, maka berjalanlah di segala penjurunya dan makanlah sebagian dari rezeki-Nya."

(سورة الملك: ١٥)

إهداء

أهدي هذا البحث الجامعي إلى:

أبي وأمي الحبيبين، اللذين جعلا الدعاء رفيقا لخطواتي، ورافقاني بالصبر والمحبة في طول هذه الرحلة.

نفسي، التي تعلمت أن الطرق الطويلة توصل أحيانا إلى أجمل الوجوه منا.

الشكر والتقدير

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين، أما بعد. قد تمت كتابة هذا البحث تحت : التفاعل الثقافي والهوية: الدراسة في أدب الرحلة على أساس نظرية ماري لويز برات في الرواية ''من إسطنبول إلى قرطبة'' لأحمد فاضل شبلول ، ومقدم لاستيفاء شروط الاختبار النهائي للحصول على درجة سرجان (S-1) في قسم اللغة العربية وأدبها كلية العلوم الإنسانية جامعة مولانا مالك إبراهيم الإسلامية الحكومية مالانج.

شكراً إلى:

١. الله سبحانه وتعالى على نعمه وتوفيقه في إتمام هذا البحث .

٢. مديرة جامعة مولانا مالك إبراهيم الإسلامية الحكومية مالانج، الأستاذة الدكتورة الحاجة إلفي نور ديانا الماجستير.

٣. عميد كلية العلوم الإنسانية، الأستاذ الدكتور محمد فيصل الماجستير.

٤. رئيس قسم اللغة العربية وأدبها في كلية العلوم الإنسانية، الدكتور عبد الباسط الماجستير، والمشرف على كتابة هذا البحث الجامعي .

٥. جميع المحاضرين والمحاضرات في برنامج دراسة اللغة العربية وآدابها .

٦. والديّ العزيزين، السيد أوال الدين بيروتو والسيدة رولي دوي راتنا، شكرًا على المحبة، والدعاء، والتضحيات التي لا تنتهي. فبفضل دعمهما وصبرهما استطاعت الباحثة أن تصل إلى هذه المرحلة. أسأل الله أن يمنحهما الصحة، والبركة، والسعادة الدائمة.

٧. جميع أفراد أسرة الباحثة الذين كانوا دائمًا مصدر قوة وطمأنينة في مختلف الظروف، فلهم خالص الشكر على دعمهم واهتمامهم ودعواتهم المستمرة.

٨. أختيّ العزيزتين، ديانتي ميلان ونور هيفا، على تشجيعهما ودعمهما الدائم وما أضفتاه من سعادة في مسيرة الباحثة.

٩. صديقتيّ العزيزتين، نور حليزة ونور فؤادية، اللتين كانتا خير معين للباحثة في تبادل الأفكار ومشاركة الهموم وتقديم الدعم والتشجيع طوال سنوات الدراسة وحتى إتمام هذه الرسالة.

١٠. صديقات الباحثة خلال المرحلة الجامعية: ديني مشاهدة، وتيارا آريا، وعريفة دارا، اللاتي رافقن الباحثة منذ اليوم الأول في الجامعة وشاركنها أجمل الذكريات وأصعب التحديات.

١١. أسرة " galva مالانج" الكبيرة، التي كانت للباحثة خير بيت ومأوى في الغربة، فلهم الشكر على ما قدموه من مودة واهتمام وتجارب لا تُنسى.

١٢. أصدقاء الباحثة: فايز، وسيندي، وجامي، على دعمهم ومساندتهم وتشجيعهم المستمر طوال المرحلة الجامعية.

١٣. جميع أصدقاء الباحثة وزملائها في "كوناد" و"مجتمع SAN مالانج" زملاء التدريب الميداني، الذين كانوا بيئة للنمو والتعلّم والتعرّف على كثير من القيم النبيلة والخبرات النافعة.

١٤. زملاء قسم اللغة العربية وآدابها دفعة ٢٠٢٢، على ما جمعهم من صداقة وتعاون ومساندة طوال فترة الدراسة. نسأل الله أن يجعل ذكرياتنا وتجاربنا المشتركة زادا لمستقبل أفضل.

١٥. جميع الأطراف الذين لا تستطيع الباحثة ذكرهم واحدًا واحدا، شكرًا على كل مساعدة، ودعاء، ودعم، وفكرة ساهمت في إتمام هذا البحث الجامعي.

١٦. وأخيرا، تشكر الباحثة نفسها، نينتا كارينا بيروتو .شكرًا لأنك واصلت الطريق رغم التعب، وصبرتِ في كل مرحلة، ولم تستسلمي. كان هذا الطريق درسا في القوة

والصبر والإيمان بالنفس. أسأل الله أن يبارك خطواتكِ القادمة، ويجعلها مليئة بالخير والنجاح. آمين

أقول شكراجزيلا على حسن الاهتمام، جزاكم الله أحسن الجزاء، عسى الله أن يسهل أموركم بكثرة البركات. عسى هذا البحث أن يعطي المنفعة للقراء العامة وبالأخص الزيادة المعرفة أرجو التوصيات في كتابتي كي تكون بحثا كاملا.

مستخلص البحث

بيروتو، نينتا كارينا. (٢٠٢٦). التفاعل الثقافي والهوية: الدراسة في أدب الرحلة على أساس نظرية ماري لويز برات في الرواية ''من إسطنبول إلى قرطبة'' لأحمد فاضل شبلول .البحث الجامعي. قسم اللغة العربية وأدبها، كلية العلوم الإنسانية، جامعة مولانا مالك إبراهيم الإسلامية الحكومية مالانج. المشرف: الدكتور عبد الباسط، الماجستير.

الكلمات الأساسية :أدب الرحلة، التفاعل، الهوية، ماري لويز برات، منطقة الاتصال.

تبحث هذالبحث في التفاعل الثقافي والهوية في رواية ''من إسطنبول إلى قرطبة'' لأحمد فاضل شبلول على أساس نظرية ماري لويز برات، خاصة مفهوم منطقة الاتصال، والتثاقف، والرجل الناظر. تنطلق هذه الدراسة من أن أدب الرحلة لا يصف انتقال الشخصية من مكان إلى آخر فحسب، بل يكشف أيضا عن اللقاءات الثقافية، وعلاقات القوة، وتمثيل الذات والآخر. تهدف هذه الدراسة إلى معرفة أشكال التفاعلات الثقافية التي تشكّل منطقة الاتصال في الرواية، وبيان كيفية تشكّل هوية الشخصية من خلال تلك التفاعلات. يستخدم هذا البحث المنهج الوصفي النوعي. ومصدر البيانات الأساسي هو رواية ''من إسطنبول إلى قرطبة'' الصادرة عام ٢٠٠٦ عن دار الوفاء لدنيا الطباعة والنشر والتوزيع في مصر، وتتكوّن من ١٠٠ صفحة. أما تقنيات جمع البيانات فهي القراءة وتدوين الملاحظات، وتقنيات تحليل البيانات هي تقليل البيانات، وعرض البيانات، واستخلاص النتائج. أظهرت نتائج البحث أن منطقة الاتصال تتجلّى في خمسة أشكال: الطقوس والممارسات الدينية، والطعام وطرائق تناوله، واللباس ومظهر الجسد، واللغة والتواصل، والفضاءات المقدسة والتراث الحضاري. كما تتشكّل هوية الشخصية من خلال الهوية الإسلامية، وهوية المراقب الغذائي، وهوية المسلم العربي، وهوية مستخدم اللغة العربية والمدافع عنها، وهوية وارث الحضارة الإسلامية.

ABSTRACT

Berutu, Ninta Karina. (2026). Interaction and Identity: A Study of Travel Writing Based on Mary Louise Pratt's Theory in the Novel "Min Istanbul ila Qurtubah" by Ahmad Fadhil Shablul. Thesis. Department of Arabic Language and Literature, Faculty of Humanities, Maulana Malik Ibrahim State Islamic University Malang. Advisor: Dr. Abdul Basid, S.S, M.Pd.

Keywords: Travel Writing, Interaction, Identity, Mary Louise Pratt, Contact Zone.

This study examines interaction and identity in the novel "Min Istanbul ila Qurtubah" by Ahmad Fadhil Shablul based on Mary Louise Pratt's theory of travel writing, especially the concepts of contact zone, transculturation, and seeing-man. This topic is important because travel writing does not merely describe the movement of characters from one place to another, but also reveals cultural encounters, power relations, and the representation of the self and the other. This research aims to identify the forms of cultural interaction that shape the contact zone in the novel and to explain how the main character's identity is constructed through these interactions. This study uses a descriptive qualitative method. The primary data source is the novel "Min Istanbul ila Qurtubah", published in 2006 by Dar al-Wafa li Dunya al-Tiba'ah wa al-Nashr wa al-Tawzi' in Egypt, consisting of 100 pages. The data are words, sentences, and paragraphs related to cultural interaction and identity formation. Data collection techniques are reading and note-taking, while data analysis techniques include data reduction, data display, and conclusion drawing. The results show that the contact zone appears in five forms: religious rituals and practices, food and eating practices, clothing and bodily appearance, language and communication, and sacred spaces and cultural heritage. The main character's identity is formed as an Islamic subject, culinary observer, Arab Muslim, user and defender of Arabic, and inheritor of Islamic civilization.

ABSTRAK

Berutu, Ninta Karina. (2026). Interaksi dan Identitas: Kajian dalam Sastra Perjalanan Berdasarkan Teori Mary Louise Pratt dalam Novel "Min Istanbul ila Qurtubah" Karya Ahmad Fadhil Shablul. Skripsi. Program Studi Bahasa dan Sastra Arab, Fakultas Humaniora, Universitas Islam Negeri Maulana Malik Ibrahim Malang. Pembimbing: Dr. Abdul Basid, S.S, M.Pd.

Kata Kunci: Sastra Perjalanan, Interaksi, Identitas, Mary Louise Pratt, Zona Kontak.

Penelitian ini membahas interaksi dan identitas dalam novel "Min Istanbul ila Qurtubah" karya Ahmad Fadhil Shablul berdasarkan teori sastra perjalanan Mary Louise Pratt, khususnya konsep zona kontak, transkulturasi, dan seeing-man. Kajian ini penting karena sastra perjalanan tidak hanya menggambarkan perpindahan tokoh dari satu tempat ke tempat lain, tetapi juga memperlihatkan pertemuan budaya, relasi kuasa, serta representasi diri dan orang lain. Penelitian ini bertujuan untuk mengetahui bentuk-bentuk interaksi budaya yang membentuk zona kontak dalam novel serta menjelaskan pembentukan identitas tokoh utama melalui interaksi budaya tersebut. Jenis penelitian ini adalah penelitian deskriptif kualitatif. Sumber data primer dalam penelitian ini adalah novel "Min Istanbul ila Qurtubah" yang diterbitkan pada tahun 2006 oleh Dar al-Wafa li Dunya al-Tiba'ah wa al-Nashr wa al-Tawzi' di Mesir, dengan jumlah 100 halaman. Data penelitian berupa kata, kalimat, dan paragraf yang berkaitan dengan interaksi budaya dan pembentukan identitas. Teknik pengumpulan data yang digunakan adalah teknik baca dan catat, sedangkan teknik analisis data meliputi reduksi data, penyajian data, dan penarikan kesimpulan. Hasil penelitian menunjukkan bahwa zona kontak dalam novel muncul dalam lima bentuk, yaitu ritual dan praktik keagamaan, makanan dan cara makan, pakaian dan penampilan tubuh, bahasa dan komunikasi, serta ruang suci dan warisan peradaban. Identitas tokoh utama terbentuk sebagai subjek Islam, pengamat kuliner, Muslim Arab, pengguna sekaligus pembela bahasa Arab, dan pewaris peradaban Islam.

محتويات البحث

تقرير الباحثة ..... أ

تصريح ..... أ

تقرير لجنة المناقشة ..... ب

استهلال..... د

إهداء ..... هـ

الشكر والتقدير..... و

مستخلص البحث (العربية)..... ط

مستخلص البحث (الإنجليزية) ..... ي

مستخلص البحث (الإندونيسية)..... ك

محتويات البحث ..... ل

الفصل الأوّل: مقدّمة ١

أ.خلفية البحث..... ..... ١

ب.أسئلة البحث..... ٩

ج. فوائد البحث..... ٩

د. حدود البحث..... ١٠

هـ. تحديد المصطلحات..... ١١

الفصل الثاني: الإطار النظري ١٣

أ. تعريف أدب الرحلة..... ١٣

ب. أدب الرحلة لماري لويز برات..... ١٧

ج. المبادئ الأساسية لنظرية ماري لويز برات في أدب الرحلة ١٧

د. عناصر نظرية أدب الرحلة لماري لويز برات..... ١٨

هـ. الهوية الثقافية..... ..... ٢١
و. نقاط القوة والقيود في نظرية ماري لويز برات لأدب الرحلة ٢٣
ز. نقد نظرية ماري لويز برات في أدب الرحلة..... ..... ٢٤
الفصل الثالث: منهج البحث..... ٢٦
أ.نوع البحث..... ..... ٢٦
ب. البيانات و مصادرها..... ٢٦
ج. طريقة جمع البيانات.....٢٨
د. طريقة تحليل البيانات.....٣٠
الفصل الرابع: عرض البيانات وتحليلها ٣٣
أ. التفاعلات الثقافية للشخصية في الرواية من إسطنبول إلى قرطبة في تشكيل منطقة اتصال (contact zone) بناء على نظرية ماري لويز برات..... ٣٤
١. منطقة الاتصال الثقافي من خلال الطقوس والممارسات الدينية ٣٤
٢. منطقة الاتصال من خلال عادات الطعام والأكل ٤٢
٣. منطقة الاتصال من خلال الملابس والمظهر الجسدي ٤٨
٤. منطقة الاتصال من خلال اللغة والتواصل..... ٥٤
٥. منطقة الاتصال عبر الأماكن المقدسة والتراث الثقافي ٦٠
ب. بناء هوية الشخصية من خلال التفاعل الثقافي في منطقة الاتصال في رواية من إسطنبول إلى قرطبة استنادا إلى نظرية ماري لويز برات..... ٧٠
١. الهوية الإسلامية للبطل كما تم بناؤها من خلال لقاءات مع ممارسات طقسية إسلامية متنوعة.....٧٠
٢. تشكّل هوية الشخصية بوصفه مراقبًا غذائيًا من خلال اللقاء بالنظم الغذائية المحلية وممارسات الشتات..... ٧٦

٣. اختبار هوية الشخصية بوصفه مسلمًا عربيًا وبناؤها من خلال اللقاء بثقافات اللباس المختلفة..... ..... ٨٢
٤. هوية الشخصية كمستخدم ومدافع عن اللغة العربية تتشكل من خلال لقاءات التواصل بين الثقافات..... ..... ٨٧
٥. هوية الشخصية باعتباره وريثا للحضارة الإسلامية تم بناؤها من خلال لقاءات مع الأماكن المقدسة والتراث التاريخي ٩٢
الفصل الخامس: الخاتمة..... ١٠٢
أ. الخلاصة.....١٠٢
ب. التوصيات..... .....١٠٣
قائمة المصادر والمراجع.....١٠٥
سيرة الذاتية ١٠٩

الفصل الأوّل

مقدمة

أ. خلفية البحث

يسجل أدب الرحلة اللقاءات بين الثقافات من خلال القصص والأوصاف وتجارب المؤلفين الذين يغادرون أراضيهم الأصلية إلى أراض أجنبية (أكرام، ٢٠٢٣، ص. ٢٢). ومن خلال هذه الحركة، لا تظهر سرديات السفر التغيرات في الموقع فحسب، بل تكشف أيضا كيف تشكل الشخصيات المعاني الثقافية وتفسرها عندما تواجه أنظمة قيم مختلفة، وحتى متناقضة، مقارنة بخلفياتها الأصلية. في هذه العملية، تحمل الشخصيات ذكريات وقيم ووجهات نظر معينة تجعل الرحلة تجربة ثقافية وأيديولوجية. أكّد برات (١٩٩٢) أن أدب الرحلات ''يبنى تمثيلات للمجتمعات الأخرى'' من خلال اللغة التي يمكنها إعادة إنتاج علاقات القوة (برات، ١٩٩٢، ص. ٣). لذلك فإن السفر في الأدب يتضمن دائما حوارا بين الشخصية والبيئة التي تواجهها، بحيث يصبح التفاعل الثقافي والهوية شيئين يؤثران على بعضهما البعض في السرد (حسبي، ٢٠٢٥، ص ١١-٢١). وبعبارة أخرى، يمكن فهم السفر في الأدب باعتباره عملية لقاء تشكل الطريقة التي تنظر بها الشخصيات إلى الثقافات الأخرى بينما تعيد ترتيب فهمهم لأنفسهم.

فهم الهوية في السياق الثقافي على أنها شيء يتشكل باستمرار من خلال التجارب عبر الثقافات، خاصة عندما يكون الشخص في بيئة أجنبية ويواجه نظاما مختلفا (ريانتو، ٢٠٢٤). في مثل هذه المواقف، يميل الأفراد إلى إعادة تقييم وجهات نظرهم تجاه أنفسهم وكذلك وجهات نظرهم تجاه الآخرين. عندما تنشأ اختلافات في القيم والعادات واللغة في اللقاءات، فإن عملية تكوين الهوية في كثير من الأحيان لا تسير بسلاسة لأنها يمكن أن تؤدي إلى التوتر والاختلافات في المعنى. في هذا السياق، يصبح أدب الرحلات مساحة مهمة لقراءة علاقات القوة، لأن روايات السفر يمكن

أن تكشف عن الأطراف التي تم منحها مساحة للتحدث والأطراف المهمشة في التمثلات الثقافية (كاسيمبارا وواهيونينجسيه، ٢٠٢١، ص. ١٨). من خلال تصوير تجارب السفر، قد يقدم المؤلفون وجهات نظر مهيمنة تهمّش وجهات نظرأخرى في اللقاءات بين الثقافات. ومن ثم فإن التفاعل الثقافي قد يؤدي إلى الاندماج الثقافي، أو الرفض، أو تغيير الهوية (غاندي، ٢٠٠١ في لطفي، ٢٠٢٤، ص. ٨).

تعرف الرحلة بأنها نوع من أدب الرحلات في التقليد العربي الذي يسجل الرحلات بالإضافة إلى ملاحظات حول الأماكن والمجتمعات التي تمت زيارتها. تعتبر الرحلة بمثابة أرشيف ثقافي يخزن المعلومات الجغرافية والاجتماعية والفكرية من مختلف المناطق. تجمع الرحلة الكلاسيكية بين أوصاف السفر والتعليقات الاجتماعية والدينية لأن الرحلة ولدت في شبكة من الحراك العلمي والحج (أفريونو، ٢٠٢٠ نقلاعن قطرنّدا، ٢٠٢٥، ص. ٢). غالبا ما يضع المسافرون في الرحلة أنفسهم كشهدو ومقيّمين للحقائق التي يواجهونها (طومسون، ٢٠١١)، مما يوفر للقراء صورة للعالم الإسلامي الواسع والمتنوع. في التطورات الحديثة، تطور أدب الرحلات العربي إلى شكل روايات لأنها توفر مساحة سردية أوسع لتطوير علم نفس الشخصية (أوتامي وبريماداني، ٢٠٢٤، ص. ٣٤٩). من خلال الروايات، لا يعدّ السفر تقريرا عن المعرفة فحسب، بل هو أيضا مساحة للتشكيك في الهوية وإظهار الصراعات الأيديولوجية.

ويؤكد هذا التطور على أهمية الاهتمام بالمؤلفين الذين يعالجون تجاربهم في رواياتهم، لأن الخلفية الفكرية والحساسية الثقافية للمؤلفين تؤثر بشكل كبير على الطريقة التي يتم بها وصف المدينة والمجتمع واللقاءات الثقافية. وفي هذا السياق يحتل أحمد فاضل شبلول مكانة هامة في الأدب العربي المعاصر نظرا لدوره الفعال كشاعر وكاتب نثر وباحث ثقافي (شبلول، ٢٠٠٦، ص ١١٣. ٩٧). تدور الاتجاهات الموضوعية في أعماله حول الملاحظات الاجتماعية والثقافية، والديناميكيات الحضرية، والتغيير الاجتماعي، والتي تتجلى في تنوّع الأجناس التي استكشفها، بدءا من الشعر

والروايات إلى الدراسات الأدبية والنقد (عوف، ٢٠٢٥، ص. ٦٢٢). بفضل الخلفية الفكرية والثقافية للمؤلف، يمكن قراءة ''من إسطنبول إلى قرطبة'' كتعبير عن تجربة المؤلف ووعيه الثقافي، لأن الرحلة تتم معالجتها في مساحة للتأمل تجمع بين تفاصيل الأماكن والأحداث والتفاعلات الاجتماعية بحيث لا تكون المدينة مجرد خلفية، بل نصا ثقافيا تقرئوه الشخصيات ويعاد تفسيره من خلال وجهة نظر المؤلف.

تعتبر رواية ''من إسطنبول إلى قرطبة'' بمثابة نص أدبي عن الرحلات لأنها تروي الطريق والأحداث والانطباعات عن الأماكن بالتسلسل. وتصبح الرحلة الجسدية للشخصيات الإطار الرئيسي لتطور القصة والتأمل في معناها. وتحمل الرحلة من إسطنبول إلى قرطبة رموزا جغرافية وتاريخية قوية لأن المدينتين تحملان ذكريات حضارات عظيمة (شبلول، ٢٠٠٦، ص ١١. ٢٨) . تمثل إسطنبول تقاطع الشرق والغرب، في حين تحمل قرطبة آثار المجد الإسلامي في أوروبا. توفر المدينتان مساحة للقاءات الثقافية من خلال المتاحف والمواقع التاريخية واللغة والممارسات اليومية. تقرأ الشخصيات المدينة كمساحة معيشة مليئة بالمعنى والتاريخ. اختارت هذا البحث هذه الرواية لأن النص يصور بوضوح رحلة عبر الفضاءات الثقافية. بالإضافة إلى ذلك، ركّزت الرواية على ''الظواهر الثقافية'' التي تظهر في المواقع التي تمت زيارتها. وتماشيا مع هذا فإن تعريف السيرة الذاتية عند الشخصية الأدبية محمد عبد الغني حسن يعزز مكانة هذه النصوص كأعمال أدبية بقوله إن ''السيرة الذاتية هي حين يكتب الإنسان تاريخه الخاص، ويسجل أخباره، ويروي أعماله وأثرها، ويذكر أيام طفولته ومراهقته وبلوغه، والأحداث التي جرت فيها، والتي يبالغ فيها أو يقلّل منها حسب أهميتها'' (الشمة، ٢٠١٧ في قطرونادا، ٢٠٢٥، ص. ٣).

يقدم اللقاء بين الشخصيات والمساحات غير المألوفة في نص الرواية تمثيلات للثقافة ''الذات'' و''الآخر'' من خلال الأوصاف والحوارات وتقييمات الشخصيات للبيئات التي يواجهونها (أديليا وآخرون، ٢٠٢٤، ص. ٨٣). هذه التمثيلات ليست

محايدة لأنها تتأثر بالمواقف الأيديولوجية والخليفات التجريبية للشخصيات المسافرة. بالإضافة إلى ذلك، يشكل التاريخ والذاكرة الجماعية هويته، لأن المدن التي يمر بها تقرأ على أنها ''أرشيفات اللحضارة'' التي تؤدي إلى الوعي التاريخي. في هذه العملية، تعمل اللغة والرموز والفضاء كعلامات ثقافية مهيمنة، توجه الشخصية لتفسير الاختلافات مع تأكيد موقفها فيما يتعلق''الآخر'' (طومسون، ٢٠١١).

لقراءة اللقاءات الثقافية وتكوين الهوية في روايات السفر بشكل أكثر انتقادا، إستخدم هذا البحث إطار ماري لويز برات لأدب الرحلة. يشرح برات مفهوم منطقة الاتصال *(contact zone)* باعتبارها مساحة لقاء استعمارية بين مجموعات منفصلة جغرافيا وتاريخيا. وفي هذا الفضاء، لا يمكن فهم اللقاءات الثقافية باعتبارها تبادلات محايدة أو متوازنة، لأن هناك دائما ضغوطا وتوترات واختلافات في القوة تحدد من له الحق في الحكم على الآخر وتحديده (برات، ٢٠١١، ص ١١. ٥). لذلك، فإن مفهوم منطقة الاتصال مهم لقراءة كيفية تمثيل ''الذات'' و''الآخر'' في سرديات السفر. ويطرح برات أيضا مفهوم التثاقف *(transculturation)*، وهو العملية التي بمقتضاها لا تقبل المجموعات التابعة الثقافة السائدة فحسب، بل تختارها أيضا وتعالجها وفقا لمصالحها (رات، ١٩٩٢، ص ١١. ١٣٢). يساعد هذان المفهومان في تفسير كيف يمكن للشخصيات في أدب الرحلات التفاوض على الهوية من خلال التكيف أو الرفض أو دمج عناصر ثقافية جديدة.

يتوافق إطار برات مع موضوع البحث لأن نصوص السفر صوّرت عموما مناطق الاتصال *(contact zone)* من خلال مشاهد الشخصيات التي تلتقي بالأشخاص والأماكن والمؤسسات الثقافية (هداية وآخرون، ٢٠٢٢، ص. ٤٩). في رواية ''من إسطنبول إلى قرطبة'' للكاتب أحمد فاضل شبلول، يتم توصف لقاءات الشخصيات مع المجتمعات والمؤسسات الثقافية. وفقا لبرات (١٩٩٥)،أن كل لقاء يكشف ديناميكيات علاقات القوة المتضمنة في الأوصاف والحوارات بالإضافة إلى

الرحلة التي تشكل خريطة ''للقوة'' عبر اللغة. وتظهر تفاعلات الشخصيات أيضا مفاوضات الهوية لأن الاستجابات للاختلافات تنشأ في طبقات، تتراوح من القبول والرفض إلى إعادة تفسير الثقافات التي واجهتها (برات، ٢٠٢٢). تكمن قوة نظرية برات في عمق السياق الثقافي الذي يربط السرد بالتاريخ وتمثيلاته.

لقد أجريت دراسات حول أدب الرحلات على نطاق واسع وتم تطويرها في مختلف المجالات العلمية. يفهم أدب الرحلات على أنها مجال دراسي واسع ومتعدد التخصصات، بحيث يمكن العثور على مناقشات حولها في مصادر مختلفة ودراسات سابقة. في هذا القسم، يستعرض الباحثة العديد من الدراسات السابقة ذات الصلة بمحور هذا البحث، بهدف تعزيز الأساس النظري المستخدم وإظهار موقف هذا البحث فيما يتعلق بالدراسات السابقة. في أدب الرحلات الغربي، قرأ ستيفانوفيتش ولوبيتشيتش (٢٠٢٣) ''مساحة النهر'' كساحة للقاء الشعوب الأصلية في سياق استعماري يشير بريا وحميد (٢٠٢٥) إلى قصص الرحلات الهندية المعاصرة التي تعتمد على التقاليد الشفهية لتقديم التاريخ والهويات المحلية التي غالبا ما تتجاهلها الروايات الرسمية. تؤكد دراسة توظيف إطار ماري لويز برات في سياق استعماري وما بعد استعماري؛ وهي بحث كيم (٢٠٢٤)، على أن مناطق الاتصال يمكن أن تتجاوز الحدود الجغرافية. رأى فان دير مير (٢٠٢٤) أن السياحة الجبلية في العصر الاستعماري في جاوة كانت بمثابة منطقة اتصال أدت إلى صدامات بين الصور الاستعمارية والمقاومة المحلية؛ ويُظهر أيجرتر (٢٠٢٥) أن مناطق الاتصال يمكن أن تنشأ في المساحات الرقمية التي تعيد تشكيل المساحات الحضرية وتؤدي إلى ظهور جماليات استعمارية جديدة. وتماشيًا مع هذا، يؤكد دين كاريوكي وجويدو فان ميرسبيرجن (٢٠٢٤) على أهمية التحول نحو إنهاء الاستعمار لنقد الميول الأوروبية المركزية في دراسات السفر. في الأدب العربي الحديث، تؤكد العديد من الدراسات أن السفر يصبح وسيلة للتأمل الذاتي واللقاءات بين الثقافات التي تشكل هوية

الشخصيات؛ تجد نديتا حلوينا (٢٠٢٥) أن الهوية تتكوّن من خلال التفكير أثناء السفر؛ يوضح أوتامي وبريماداني (٢٠٢٤) أن العلاقات بين الشرق والغرب يتم بناؤها من خلال الطريقة التي تقيّم بها الشخصيات فرنسا؛ تسلط موليديا سيتي نور سوتشي (٢٠٢٣) الضوء على التمثيلات المتناقضة للمكان؛ ويؤكد كوترونادا (٢٠٢٥) أن السفر يثير المشاعر والتأمل، وبالتالي يشكل الهوية من خلال التجارب عبر الثقافات.

تتشابه هذه الدراسة مع دراسات سابقة، مثل تلك التي أجراها ستيفانوفيتش ولوبيتشيتش (٢٠٢٣)، وفان دير مير (٢٠٢٤)، وأجيرتر (٢٠٢٥)، من حيث أوجه التشابه في النظر إلى السفر باعتباره مساحة للقاءات ثقافية غير محايدة، والتأكيد بشكل مماثل على أن مساحات السفر، سواء كانت مناظر طبيعية أو سياحة استعمارية أو مساحات رقمية، يمكن أن تصبح ساحات لصراعات المعنى وعلاقات القوة التي تشكل الطريقة التي تنظر بها ''الذات'' إلى ''الآخر''، مما يجعل من المناسب قراءتها كمنطقة اتصال *(contact zone)*. يؤكد كل من بريا وحميد (٢٠٢٥)، وكيم (٢٠٢٤)، ودين كاريوكي وجويدو فان ميرسبيرجن (٢٠٢٤) على الحاجة إلى قراءة كتابات السفر بشكل نقدي من خلال تسليط الضوء على التحيزات السائدة وفتح مساحة لوجهات النظر المحلية ومنظور إنهاء الاستعمار، وهو ما يتماشى مع هدف هذه الدراسة المتمثل في دراسة التمثيل والسلطة في اللقاءات الثقافية. وتظهر دراسات الأدب العربي الحديث، مثل تلك التي أجرتها نديتا حلوينا (٢٠٢٥) وقطر الندى (٢٠٢٥)، أيضا أن السفر غالبا ما يؤدي إلى التأمل الذاتي ويدفع عملية تكوين الهوية من خلال تجارب متعددة الثقافات. وفي الوقت نفسه، يوضح أوتامي وبريماداني (٢٠٢٤) وموليديا سيتي نور سوتشي (٢٠٢٣) كيف يمكن لأوصاف الأماكن وتقييمات الشخصيات للثقافات الأخرى أن تؤدي إلى تمثيلات متناقضة، وبالتالي تعزيز الأساس القائل بأن التفاعلات الثقافية في السفر ترتبط ارتباطا مباشرا بالتفاوض على الهوية، وهو محور هذه الدراسة في رواية من إسطنبول إلى قرطبة.

تختلف هذه الدراسة عن الدراسات السابقة من حيث أنها لا تناقش أدب الرحلات بشكل عام، ولكنها تسلط الضوء بشكل خاص على كيفية تشكيل التفاعلات بين الشخصيات لمنطقة اتصال *(contact zone)* ثقافية وكيفية التفاوض على هويات الشخصيات في رواية من إسطنبول إلى قرطبة باستخدام إطار ماري لويز برات. نظرا لأن التركيز نصّي للغاية ويتتبع مشاهد لقاءات الشخصيات، فإن الاتجاه يختلف عن دراسات ستيفانوفيتش ولوبيتشيتش (٢٠٢٣)، التي تؤكد على قراءة ما بعد الاستعمار والتناص في الفضاء النهري ، وبريا وحميد (٢٠٢٥)، والتي تسلط الضوء على التقاليد الشفهية في قصص الرحلات الهندية لرفع التاريخ والهوية المحلية. يعيدكيم (٢٠٢٤) دراسة مفهوم مناطق الاتصال *(contact zone)* في السياق الكوري والمجال الثقافي الأوسع، بينما يستخدم فان دير مير (٢٠٢٤) تحليلا تاريخيا واجتماعيا للسياحة الجبلية في العصر الاستعماري في جاوة، بدلا من قراءة نصية المتعمقة لرواية سفر عربية واحدة. يركز أيجرتر (٢٠٢٥) على مناطق الاتصال *(contact zone)* في المساحات الرقمية (المنصات السياحية)، وبالتالي تختلف مادة الدراسة ووسائطها عن هذه الدراسة. يختلف دين كاريوكي وجويدو فان ميرسبيرجن (٢٠٢٤) أيضا في أنهما ينتقدان اتجاه دراسات السفر ويقدمان دفعة لإنهاء الاستعمار، بدلا من تحليل مشاهد لقاءات الشخصيات في نص أدبي واحد. وفي الوقت نفسه، تؤكد دراسات الأدب العربي مثل نديتا حلوينا (٢٠٢٥)، وأوتامي وبريمادادي (٢٠٢٤)، ومونيديا سيتي نور سوتشي (٢٠٢٣)، وقطر الندى (٢٠٢٥) بشكل عام على التأمل الذاتي، وتمثيل المكان، أو العلاقات بين الشرق والغرب ضمن إطار لا يرسم مباشرة خريطة لمنطقة اتصال *(contact zone)* برات؛ في حين تضع هذه الدراسة برات كأداة أساسية لقراءة علاقات القوة، موقف ''الذات'' و''الآخر''، وعملية التفاوض على الهوية التي تنبثق من التفاعلات الثقافية في رحلات الشخصيات.

يقع هذا البحث عند تقاطع الأدب العربي وأدب الرحلات والدراسات الثقافية. يربط هذا النهج بشكل نقدي النصوص العربية المعاصرة بنظرية ما بعد الاستعمار. ويتم اختبار هذه المفاهيم في سياق النصوص غير الغربية، وتحديدا ديناميكيات التمثيل في الروايات العربية المعاصرة. وتقدم هذه الدراسة أيضا مساهمة تطبيقية من خلال قراءة جديدة لرواية شبلول ''من إسطنبول إلى قرطبة'' باعتبارها سردا للقاءات بين المدن والذكريات والهويات، حيث يتم التعامل مع المدن ليس فقط أمكان بل وسائل للتمثيل الثقافي. وتتجلى المساهمة المنهجية في اختيار المدينة كأداة تحليلية. يتم وضع المدينة كوسيلة للمساعدة في تتبع كيفية عمل الفضاء والرموز التاريخية والمؤسسات الثقافية في تشكيل الطريقة التي تنظر بها الشخصيات إلى نفسها وإلى الآخر، وليس فقط كإطار للقصة (شابلول، ٢٠٠٦).

تهدف هذه الدراسة إلى تحليل أشكال التفاعل الثقافي بين الشخصيات في رواية أحمد فاضل شبلول ''من إسطنبول إلى قرطبة'' وبيان كيف تشكل هذه التفاعلات منطقة اتصال *(contact zone)* بناء على نظرية ماري لويز برات. بالإضافة إلى ذلك، تهدف هذه الدراسة أيضا إلى دراسة عملية تكوين هوية الشخصية في روايات السفر، وخاصة كيفية تشكيل الهوية والتفاوض بشأنها وبنائها من خلال التفاعلات الثقافية الت تحدث داخل منطقة الاتصال. وبالتالي، تهدف هذه الدراسة إلى إظهار أن اللقاءات الثقافية في رحلات الشخصيات ليست محايدة، بل تتأثر بعلاقات القوة والممارسات التمثيلية التي تحدد كيفية تفسير الشخصيا لذوتها و''للآخر'' في تجارب سفرهم.

ب. أسئلة البحث

١. كيف تشكل التفاعلات الثقافية للشخصيات في الرواية من إسطنبول إلى قرطبة في تشكيل منطقة اتصال *(contact zone)* ثقافية بناء على نظرية ماري لويز برات؟

٢. كيف تشكل هويات الشخصيات من خلال التفاعلات الثقافية في منطقة الاتصال في الرواية من إسطنبول إلى قرطبة بناء على نظرية ماري لويز برات؟

ج. فوائد البحث

ولهذه الدراسة فوائد عملية أو البراغماتية وهي:

١. تزويد القراء بفهم لديناميات اللقاءات بين الثقافات في السفر، وخاصة كيف يمكن للتفاعلات مع الثقافات المختلفة أن تؤثر على وجهات النظر والمواقف وتكوين الهوية. من خلال قراءة من إسطنبول إلى قرطبة ، يتوقع من القراء أن يصبحوا أكثر وعيا بأن اللقاءات بين الثقافات ليست دائما محايدة، ولكنها غالبا كما تتأثر بالاختلافات في القيم واللغة والعادات والآثار التاريخية التي تشكل علاقات القوة في هذه التفاعلات.

٢. توفير مراجع تحليلية للطلاب والباحثين في تطبيق نظرية ماري لويز برات، وخاصة مفاهيم منطقة الاتصال *(contact zone)* التثاقف، لقراءة أدب الرحلات العربي المعاصر بشكل أكثر منهجية. يمكن أن يساعد هذا البحث في توضيح خطوات تحديد أشكال التفاعل الثقافي، وموقف الراوي، واستراتيجيات تمثيل ''الذات'' و''الآخر''، وعملية التفاوض على هوية الشخصيات، بحيث يصبح التحليل الناتج أكثر نقدا وتركيزا.

٣. تشجيع تعزيز الثقافة النقدية تجاه الأعمال الأدبية من خلال إظهار أن روايات السفر ليست مجرد سجلات للأماكن والأحداث، بل هي أيضا فضاءات

لإنتاج المعنى الثقافي. إن فهم كيفية وصف الشخصيات للمدن والمجتمعات وتجارب السفر من شأنه أن يثري منظر القراء في تفسير أدب السفر، وخاصة في رؤية كيفية بناء التمثيلات الثقافية ومناقشتها، وكيف يمكن أن تشكل معاني جديدة للهوية.

د. حدود البحث

تقتصر هذه الدراسة على موضوع التفاعل الثقافي وتكوين الهوية في أدب الرحلات العربي الحديث، مع التركيز على رواية أحمد فاضل شبلول''من إسطنبول إلى قرطبة''. تركز المناقشة على اللقاءات بين الثقافات خلال رحلة بطل الرواية، مثل اللقاءات مع الأشخاص والمساحات والممارسات الاجتماعية والرموز الثقافية التي تظهر في مشاهد القصة. لا تتناول هذه الدراسة أدب الرحلات العربي بشكل عام، ولا تقارنه بأعمال أخرى، ولا تقيم الدقة التاريخية أو الحقائق حول المدن المذكورة، إلا إذا كانت ذات صلة بالنص.

ويقتصر الإطار النظري المستخدم على ماري لويز برات، وخاصة مفهوم منطقة الاتصال *(contact zone)* لقراءة اللقاءات الثقافية التي تنطوي على التوتر وعلاقات القوة. لا تستخدم مفاهيم التثاقف *(transculturation)* والرجل الناظر *(seeing-man)* إلا عند الضرورة لدعم فحص كيفية استجابة الشخصيات للثقافات التي تواجهها وموقعها كمراقبين، دون توسيع المناقشة لتشمل نظريات أخرى للهوية.

وفقا لسؤال البحث، تركز هذه الدراسة على دراسة كيفية تشكيل التفاعلات الثقافية بين الشخصيات لمناطق اتصال *(contact zone)* وكيفية تشكيل هويات الشخصيات أو التفاوض عليها داخلها. يركز التحليل على الشخصية الرئيسية، في حين تتم مناقشة الشخصيات الأخرى فقط بقدر ما تلعب دورا في إقامة لقاءات ثقافية. كما أن هذه الدراسة لا تتناول سيرة المؤلف بعمق أو السياق الاجتماعي والسياسي خارج النص، إلا عندما يظهر في الرواية ويكون ضروريا للتحليل.

هـ. تحديد المصطلحات

١. أدب الرحلات (Travel Writing)

يمكن فهم أدب الرحلة على أنها الأدب التي تنشأ من تجربة الشخص في الانتقال من مكان إلى آخر وسرد لقاءاته مع الثقافات المختلفة. وبسبب هذه اللقاءات، عادة ما تحتوي قصص السفر دائما على عملية مقارنة الشخصية أو تعديلها أو التفاوض بشأن ما تعتبره هو نفسه ومختلفا بينها وبين الآخرين (طومسون، ٢٠١١، ص. ١٧–١٨). ومن منظور ما بعد الاستعمار، لا تكون سرديات السفر محايدة دائما، لأن وصف الأمكنة والناس قد يعكس موقع الراوي ووجهة نظره في تمثيل ''الآخر''(برات، ١٩٩٢، ص. ٣).

٢. منطقة الاتصال (Contact Zone)

منطقة الاتصال هي ''مساحة اجتماعية تلتقي فيها الثقافات وتتصادم وتتصارع مع بعضها البعض''، بشكل عام في علاقات قوة غير متكافئة (برات، ٢٠٠٨، ص. ٢). في هذه الدراسة، يتم تفعيل منطقة الاتصال كمشاهد/أحداث في الرواية عندما تتفاعل الشخصيات مع المجتمعات أو المؤسسات أو الرموز الثقافية في المدن التي يزورونها من خلال الحوار والأعراف الاجتماعية واللغة والممارسات اليومية التي تكشف عن المفاوضات أو التوترات، أو اختلال التوازن في الموقف.

٣. التثاقف (Transculturation)

يمكن فهم التحول الثقافي على أنه عملية لا يقبل فيها أولئك الذين هم في أوضاع أضعف أو مهمشة الثقافة السائدة فحسب، بل يختارون ويتكيفون ويعالجون العناصر الثقافية التي تأتي إليهم لتناسب احتياجاتهم وتجاربهم ووجهات نظرهم (برات، ٢٠٠٨، ص. ٤). في هذه الدراسة، يظهر

التثاقف في أجزاء من الرواية تظهر الشخصيات وهي لا تقلد الثقافة التي تواجهها فحسب، بل تقوم أيضا بإجراء تعديلات، على سبيل المثال من خلال اختيارها للغة، أو طريقة التفاعل، أو طريقة تفسير الرموز التاريخية، أو التغييرات في الموقف تجاه عادات ثقافية معينة.

٤. الرجل الناظر(Seeing-man)

الرجل الناظر هو مفهوم يصف موقف الشخصية أو راوي الرحلة كشخص ''يرى'' أماكن أخرى. للوهلة الأولى، يبدو أنهم يراقبون فقط، لكن الطريقة التي ينظرون بها غالبا ما تظهر أنهم يشعرون أن لديهم سلطة الحكم وتحديد معنى الأماكن والأشخاص والثقافات التي يرونها (برات، ٢٠٠٨:٧؛ كلارك، ٢٠١٨). في هذه الدراسة، يتم تفعيل الرجل الرائي كجزء من الوصف السردي عندما يتم وضع الشخصية بشكل مهيمن كمقيّم

٥. الهوية الثقافية (Cultural Identity)

الثقافية ليست شيئا ثابتا وغير متغير. تستمر الهوية في التشكل جنبا إلى جنب مع تجارب الفرد والطريقة التي يصف بها و فسّر بها نفسه والآخرين، لأن الهوية ديناميكية، ولا تكتمل أبدا، ودائما ما تكون في طور المعالجة (هول ١٩٩٠ ، ص. ٢٢). في هذا البحث، يتم النظر إلى الهوية الثقافية من خلال كيفية تفكير الشخصيات وشرحها ''من هم''، على سبيل المثال، من خلال القيم التي يحملونها، ومعتقداتهم، وإحساسهم بالقرب أو الاغتراب، وموقعهم كجزء من مجموعة معينة يمكن أن تتغير، أو تتم مناقشتها داخل أنفسهم، أو حتى يتم التأكيد عليها بعد أن يختبروا لقاءات ثقافية أثناء رحلاتهم.

الفصل الثاني

الإطار النظاري

أ. تعريف أدب الرحلة

تعرف الأعمال الأدبية التي تحتوي على سجلات لتجارب السفر باسم أدب الرحلة (*travel writing*). وترى حسنه (٢٠١٩) أن الشعبية المتزايدة لكتابات السفر ساهمت بشكل مهم في مجالات الفن والمعرفة. من خلال روايات السفر، يدعى القرّاء لاستكشاف مساحات جديدة، واكتشاف أشياء مختلفة، ورؤية فرادة المكان من وجهة نظر الراوي. وتنشأ جاذبيتها أيضا لأن المعلومات الواقعية غالبا ما يتم تقديمها جنبا إلى جنب مع العناصر الخيالية، مما يجعل القصة تبدو حية وممتعة للمتابعة (أوتمي وبريماداني،٢٠٢٤، ص . ٣٤٩).

وإذا اعتمدنا على تعريف أكثر دقة، يوضح ''قاموس المصطلحات العربية في الأدب واللغة'' أن أدب الرحلات عبارة عن مجموعة من الأعمال الأدبية التي تحتوي على انطباعات المؤلف عن رحلاته إلى بلدان مختلفة. يمكن أن تحتوي هذه الأعمال على أوصاف تفصيلية للعادات والتقاليد التي تمت ملاحظتها، وأوصاف للمناظر الطبيعية التي شهدها ويتم ترتيبها خطوة بخطوة أو الجمع بين كل هذه العناصر مرة واحدة (ناز وفاضل، ٢٠١٧، ص. ١٧٣). يتماشى هذا التعريف مع فهم أدب الرحلات على أنها أدب لا تظهر تغييرا في الموقع فحسب، بل تسلط الضوء أيضا على كيفية ملاحظة الراوي أو الشخصية وتقييمها وتفسيرها عادات المجتمع المحلي ولغته وأسلوب حياته (طومسون، ٢٠١١ في حسبي، ٢٠٢٥، ص. ٢١). لذلك، لا يعرف القراء ''أين'' توجد الشخصية فحسب، بل يدركون أيضا ''كيف تشعر'' بالتواجد في المساحة التي تمت زيارتها (أوتامي وبريماداني، ٢٠٢٤، ص. ٣٥١).

في التقليد الأدبي العربي، يقال إن آثار أدب الرحلات كانت موجودة حتى قبل ظهور الإسلام (عصر الجاهلي)، كما يتبين من قصائد ما قبل الإسلام التي تصف ما تم تجربته والشعور به أثناء الرحلات من منطقة إلى أخرى (فؤاد قنديل، ٢٠٢٢، ص. ٢٥). ويذكر الحاتمي أيضا أن ثروة أدب الرحلات في الأدب العربي هي من أغنى؛ إن وجود هذا الأدب ليس مجرد دليل على القدرة على الكتابة، بل تطور إلى ''بحر من المعرفة'' مع توسع الدول الإسلامية (فجر عارف مجيب الرحمن، ٢٠١٤؛ حلوينا ، ٢٠٢٥، ص. ١٨). وتعزز التركيز على قيمة المعرفة عند الموافي (١٩٩٥)، الذي نظر إلى أدب الرحلات باعتباره وثيقة حية ونتاجا للملاحظة؛ بل ويمكن اعتباره وثيقة نفسية جميلة في تطوير الحقائق حول النفس البشرية التي ينتجها المسافر (الموافي ، ١٩٩٥). وفي الوقت نفسه، ومن منظور الشكل والموضوع، يؤكد عبد الله أن أدب الرحلات هو نثر أدبي يثير موضوع السفر أو الرحلات المكتوبة في شكل أعمال أدبية نثرية جيدة وبلغة مميزة (تشيلوينا، ٢٠٢٥، ص. ١٩). وفي الأدب العربي نفسه، يمكن تصنيف تنوع أشكال السفر إلى خمس عشرة فئة: الحجازية، والسياحة، والدراسة، والآثار، والاستكشاف، والزيارة، والسياسة، والعلمية، والمقام، والإرشادية، والرسمية، والخيالية، والفهرسة، والدبلوماسية، والعامة .

من حيث النوع، فإن الرحلة في أدب الرحلات لا تنتهي عند انتهاء الرحلة، لأن التجربة تعاد صياغتها عند تدوينها. يمكن فهم السفر على أنه عملية مزدوجة: هناك حركة جسدية (الانتقال من مكان إلى آخر) وهناك عملية عقلية يتم فيها تذكر التجارب واختيارها ثم إعادة ترتيبها في قصة. ولهذا السبب فإن التجارب الجديدة في الأماكن التي تمت زيارتها غالبا ما تترك انطباعا عميقا، وتوفر منظورا معينا، وتصبح مصدر إلهام للعمل الإبداعي؛ يمكن للكتاب أن يكتبوا عن تجارب سفرهم مع الحفاظ على لمسة من الخيال، بحيث يعمل السرد كتواصل رمزي بين الكاتب والقارئ (حسنه، ٢٠١٩ في أوتامي وبريماداني، ٢٠٢٤، ص. ٣٥١). ومن ثم، من منظور وظيفة

المعرفة، غالبا ما تكون مذكرات السفر أيضا مصدرا غنيا للمعلومات للجغرافيين والمؤرخين وعلماء الاجتماع. فهي تحتوي على دروس، وتترك انطباعا معينا لدى المسافرين، بل وتساعد المسافرين المستقبليين من خلال معلومات حول الملاحة البرية والبحرية، واللغة والعادات المجتمعية (تشيلوينا، ٢٠٢٥، ص. ١٩).

بالإضافة إلى المحتوى والوظيفة، تطوّر أدب الرحلة أيضا من حيث الشكل. يذكر إنجليرت وفلاستا (٢٠٢٠) أن أدب الرحلة يشمل الجوانب المكتوبة والمرئية، والخرائط، والرسومات، واللوحات، والصور الفوتوغرافية، والرسومات التخطيطية، والمناظر الطبيعية، وغيرها من الوسائط، سواء المعروضة بصريا أو المعبر عنها بالكلمات. لذلك، ترى أدب الرحلة في الاعتبار جماليات صوّرت الأشياء لتعزيز الخيال المكاني للقارئ وإثراء تجربة القراءة (إنجليرت وفلاستا، ٢٠٢٠، في وردتن، ٢٠٢٢، ص. ٣٣٣). تمشيا مع تعزيز حدود النوع، ودخول القرن الحادي والعشرين، تطور شكل أدب الرحلات أيضا إلى شكل رقمي. جنبا إلى جنب مع التحديات المتزايدة للكتابة. ويضيف تومسون أن مصطلح أدب الرحلات في الاستخدام الأكاديمي غالبا ما يفهم على نطاق أوسع: لا يقتصر نطاقه على المنشورات المتعلقة بالسفر فحسب، بل يشمل أيضا وثائق أخرى أو قطع أثرية ثقافية تتعلق بالسفر (تومسون، ٢٠١١ في كاسيمبارا وواهيونينجسيه، ٢٠٢٤، ص. ١١٨).

ومع ذلك، من المهم التأكيد على أن كتابات السفر لا يمكن التعامل معها باعتبارها معلومات محايدة تماما. يؤكد طومسون (٢٠١١) أن الأجندة في أدب الرحلات يرتبط بالآثار الأخلاقية والسياسية من خلال الطريقة التي يؤطر بها الراوي الأشخاص والثقافات الأخرى. وفي هذا الخط من التفكير، يربطها مشليحاتين (٢٠٢٢) بنقد إدوارد سعيد للاستشراق: يوضح سعيد (١٩٨٥) كيف تساهم قصص السفر في بناء ''الشرق'' كخطاب له آثار أخلاقية وسياسية. نتيجة لذلك، تسلط دراسات ما بعد الاستعمار الضوء على ما إذا كانت روايات السفر تظل

مهيمنة أو تقدم استراتيجيات للهروب من تلك الهيمنة من خلال وجهات نظر بديلة للذات والغرب باعتباره ''الآخر'' (سعيد، ١٩٨٥ في طومسون، ٢٠١١).

ويمكن رؤية الأجندة وعلاقات القوة في أدب الرحلات بوضوح أيضا من خلال دراسة ماري لويز برات في *''Imperial Eyes''* (١٩٩٢). في كتابه ''عيون إمبراطورية''، تقرأ برات سلسلة من مذكرات الرحلات والاستكشافات التي قام بها الأوروبيون الذين سافروا إلى المستعمرات (أو المستعمرات المستقبلية) في أفريقيا وأمريكا بمختلف اللغات. الموضوع الرئيسي (*travel writing*) هو أدب السفر والاستكشاف الأوروبي، والذي تم تحليله فيما يتعلق بالتوسع الاقتصادي والسياسي الأوروبي منذ حوالي عام ١٧٥٠. تذكر برات أن هذه النصوص كان لها تأثير كبير في تشكيل طريقة تفكير الأوروبيين تجاه غير الأوروبيين. الموضوع الرئيسي هو كيف خلقت كتب السفر التي كتبها الأوروبيون عن غير الأوروبيين "موضوعا محليا'' للمجتمع الأوروبي، مع إشراك جمهور القراءة الحضري في أوروبا، مع أو بدون المشاركة في البعثات الاستكشافية، في المشاريع التوسعية التي غالبا ما كانت تجني فوائدها من قبل قلة مختارة (برات، ١٩٩٢). وقد سار هذا التطور جنبا إلى جنب مع ترسيخ الذاتية والسلطة البرجوازية، ومرحلة جديدة من الرأسمالية مدفوعة بالبحث عن المواد الخام، وميل الدول الأوروبية إلى توسيع أراضيها الاستعمارية لمنع الأعداء الأوروبيين الآخرين من الاستيلاء على السلطة (برات، ٢٠٠٨). وهكذا، عندما نقرأ كتابات السفر باعتبارها عملا أدبيا، فإنها لا تلتقط ''السفر'' فحسب، بل تكشف أيضا كيف يمكن للمعرفة والجماليات والتمثيل أن تعمل داخل شبكات السلطة.

ب. أدب الرحلة لماري لويز برات

بالنسبة لماري لويز برات، فإن أدب الرحلة *travel writing* ليس مجرد يوميات سفر ''تصف الأماكن''، بل هي ممارسة تمثيلية تجعل العالم البعيد ذا معنى للقراء، وخاصة أولئك الذين ''في وطنهم'' (في المدينة الكبرى). (برات، ٢٠٠٨، ص. ٣) تؤكد برات أنها تدرس أدب الرحلات الأوروبية واستكشافها من خلال ربطها بالتوسع الاقتصادي السياسي الأوروبي منذ حوالي عام ١٧٥٠، بحيث تفهم أدب الرحلات على أنها دراسة للنوع ونقد للأيديولوجية (برات، ٢٠٠٨).

وفي هذا الإطار، لعبت كتب الرحلات التي كتبها الأوروبيون عن المناطق غير الأوروبية دورافي إنشاء''نظام إمبراطوري'' للأوروبيين ''في الداخل'' ووضعهم داخله (برات، ٢٠٠٨). وأكّد برات أيضا أن أدب الرحلة جعلت التوسع الإمبراطوري يبدو ذا معنى ومرغوبا فيه بالنسبة لمواطني الدول الإمبراطورية، على الرغم من أن حفنة فقط من الناس كانوا يتمتعون بالفوائد المادية. (برات، ٢٠٠٨، ص. ٣). ونظرا إلى الانتشار الواسع لكتب الرحلات وكثرة قرّائها، فقد أسهمت في توليد شعور بالملكية والاستحقاق والألفة تجاه أجزاء مختلفة من العالم كانت تُستكشف وتُغزَى وتُستثمر وتُستعمَر باسم المشاريع الإمبراطورية (برات، ٢٠٠٨). ومن هذه النقطة، أصبحت أدب الرحلات أداة ثقافية تعمل على تطبيع العلاقات ''المركزية والمحيطية'' من خلال القصص والفئات ووجهات نظر معينة، ولا من خلال الأسلحة أو الإدارة فحسب.

ج. المبادئ الأساسية لنظرية ماري لويز برات في أدب الرحلة

أولا، يجب قراءة أدب الرحلة بوصفه ممارسة خطابية تعمل ضمن علاقات القوة. تضع برات أدب السفر كجزء من ''صنع المعنى'' للإمبراطورية: فهو ينظم كيفية رؤية القراء للفضاء والناس وبعض القيم الثقافية. (برات، ٢٠٠٨). لذلك، لا يتوقف التحليل عند ''ما يقال''، ولكنه يتتبع كيف تبني الروايات السلطة والحكم ووجهات النظر التي تبدو معقولة (برات، ٢٠٠٨).

ثانيا، تركز قراءات برات على اللقاءات بين الثقافات في فضاءات اجتماعية غير متكافئة. وتطلق برات على هذه المساحات اسم مناطق الاتصال *(contact zone)* ، وهي الأماكن التي تلتقي فيها الثقافات وتتفاوض، ولكن في كثير من الأحيان في علاقات غير متكافئة من الهيمنة أو التبعية. (برات، ٢٠٠٨) يتطلب هذا المبدأ من الباحثين إيلاء اهتمام خاص لمشاهد التفاعل: المحادثات، وسوء الفهم، والمفاوضات، والرفض، والتكيفات، وحتى استراتيجيات ''الانتقام'' لدى من الذين يتم وضعهم على أنهم الآخر (برات، ١٩٩٢، ص. ٣٤).

ثالثا، أكد نظرية برات على أهمية موقف ''رؤية الموضوع'' في روايات السفر. في العديد من نصوص السفر، يبدو الراوي/المسافر مراقبا محايدا، في حين أن تلك النظرة في الواقع يمكن أن تكون وسيلة رمزية. ''التحكم'' في المساحة التي يتم رؤيتها. (برات، ١٩٩٢، ص. ٩) لذلك، يحتاج التحليل إلى دراسة كيفية صياغة أوصاف المناظر الطبيعية والعادات والأشخاص من وجهة نظر معينة، وكيف تنتج وجهة النظر هذه تسلسلا هرميا للقيم (برات، ٢٠٠٨).

د. عناصر نظرية أدب الرحلة لماري لويز برات

١) منطقة الاتصال (Contact Zone)

عرّف برات منطقة الاتصال بأنها ''مساحة اجتماعية تلتقي فيها الثقافات المختلفة وتتصادم وتتصارع مع بعضها البعض''، غالبا في سياق علاقات القوة غير المتكافئة إلى حد كبير مثل الاستعمار أو العبودية أو آثارها (برات، ١٩٩٢، ص. ٣٤). وتؤكد برات على نفس التعريف في كتابها ''عيون إمبراطورية'' عندما تشير إلى مناطق الاتصال باعتبارها مساحات للقاء الثقافي تتميز بعدم المساواة والهيمنة والتبعية (برات، ٢٠٠٨).

عند قراءة نص، تساعدك مناطق الاتصال على تركيز تحليلك على مشاهد التفاعل، أي اللحظات التي تواجه فيها الشخصيات اللغة والقيم

والسلطة الاجتماعية وأسلوب حياة ''الآخر''. يذكر برات أنه في هذا الفضاء، لا تكون أشكال التعبير الثقافي دائماً أنيقة ومتناغمة؛ بل غالبا ما تنشأ المفاوضات أو الصراعات أو استراتيجيات الاتصال ''المختلطة'' لأن الأطراف المعنية ليست على قدم المساواة (برات، ١٩٩٢ص. ٣٤).

٢) التثاقف (Transculturation)

إستخدم برات مصطلح التثاقف *transculturation* لوصف العملية التي يقوم من خلالها أعضاء المجموعات التابعة أو المهمشة ''بالاختيار والإبداع'' من المواد الثقافية التي تنقلها الثقافة السائدة/الحضرية. (برات، ٢٠٠٨، ص. ٧). في شرح برات في المقال "*Arts of the Contact Zone*"، يستخدم علماء الإثنوغرافيا هذا المصطلح للإشارة إلى عملية الاختيار والإبداع. وتضيف برات أيضا أن المصطلح صاغه في الأصل فرناندو أورتيز في أربعينيات القرن العشرين ليحل محل المفاهيم المفرطة في التبسيط مثل التثاقف والاستيعاب *acculturation* and *assimilation* (برات، ١٩٩٢، ص ١١. ٣٦).

المبدأ المهم هو أن الطرف التابع لا يتحكم دائما في ما ''يأتي'' من الثقافة السائدة، لكنه يستطيع أن يحدد إلى حد ما ما يتم استيعابه، وكيفية استخدامه، وماذا يعني. (برات، ١٩٩٢) في سياق العيون الإمبراطورية، يُفهم التداخل الثقافي باعتباره ظاهرة مميزة لمناطق الاتصال، وتوجهه برات نحو سؤال تحليلي: ماذا يفعل ''المتلقون'' للإمبراطورية بالمنظور الحضري، وكيف يستجيبون، وكيف ''يتحدثون مرة أخرى'' (برات، ٢٠٠٨، ص. ٧).

٣) مناهضة الغزو(Anti-Conquest)

شرح برات مناهضة الغزو كاستراتيجية في كتابات السفر/الاستكشاف الحديثة عندما يحاول الرعايا البرجوازيون الأوروبيون الظهور ''أبرياء'' كما لو كانوا يراقبون ويسجلون ويعجبون فقط، على الرغم من استمرار السرد في العمل على

تعزيز الهيمنة الأوروبية. قد يبدو هذا النهج مختلفا عن الخطاب العلني للغزو، لكن قوته تظل واضحة في كيفية اختيار الكتاب لوجهة نظرهم، وإصدار الأحكام، وتسمية الآخرين وتصنيفهم، واستخدام المعايير الأوروبية لتفسير العالم الذي يزورونه. ونتيجة لذلك، غالبا ما يتم وضع الآخرين كأشياء يجب ملاحظتها والحكم عليها، بينما يصبح المسافرون الأوروبيون هم الأشخاص الذين يحددون المعنى، بحيث تستمر الهيمنة حتى عندما تكون ملفوفة بانطباع الحياد أو الأدب أو التعاطف (برات، ٢٠٠٨، ص. ٧).

٤) رجل الناظر(Seeing-man)

شار برات إلى ''الرجل الناظر'' باعتباره الشخصية الرئيسية في الخطاب المناهض للغزو: أي الموضوع الذكوري الأبيض في خطاب المناظر الطبيعية الأوروبية. وضعت هذه التسمية عمدا ''غير ودية''، لأن الشخصية تبدو وكأنها تحدق بشكل سلبي فقط، في حين أنه في الواقع من خلال عينيه الإمبراطوريتين ينظر في نفس الوقت إلى الخارج ويطالب بما يعتبره ملكا له. (برات، ٢٠٠٨، ص. ٩) تضع برات الرجل الرائي باعتباره الشخصية الرئيسية في استراتيجية التمثيل التي يربطها بالجهود الرامية إلى تأكيد الهيمنة مع الحفاظ على انطباع ''البراءة'' (برات، ٢٠٠٨).

من الناحية توظيف، يمكن توظيف مفهوم الرجل الرائي لتحديد أجزاء من السرد عندما: (١) يتخذ موقف المراقب ذو السلطة، (٢) يصدر أحكامًا موضوعية على ما يبدو، (٣)يحول الفضاء والأشخاص إلى ''مشاهد'' جاهزة للتصنيف أو التقييم أو التعريف من وجهة نظره (برات، ٢٠٠٨). من خلال هذا المفهوم، لا يكتفي تحليلك بذكر ''الشخصية ترى''، بل يفحص كيف ''طريقة الرؤية'' تبني علاقات القوة، بما في ذلك من خلال الأسلوب

والتعميمات والفئات التي تضع الآخر كموضوع للمعرفة (برات، ٢٠٠٨، ص. ٩).

ومن بين هذه العناصر الأربعة، تستخدم الباحثة ثلاثة مفاهيم فقط، وهي منطقة الاتصال *contact zone* ، التثاقف *transculturation*، والرجل الناظر *seeing-man* ، في حين لا يستخدم مناهضة الغزو *anti–conquest*. من الناحية النظرية، هذه الثلاثة هي الأكثر صلة بسؤال البحث: منطقة الاتصال *contact zone* لرسم خريطة اللقاءات والتوترات الثقافية، التثاقف *transculturation* لفحص عملية اختيار/معالجة العناصر الثقافية التي تؤثر على الهوية، والرجل الناظر *seeing-man* لملاحظة كيف منظور الشخصية كمراقب يشكل تمثيلات الذات والآخر (برات، ١٩٩٢). من الناحية العملية، يساعد استبعاد مناهضة الغزو التحليل *anti-conquest* على الاستمرار في التركيز على التفاعلات الثقافية ومفاوضات الهوية في النص دون الانحراف إلى مناقشات حول استراتيجيات التمثيل المميزة لأدب الرحلات الأوروبية، والتي تتطلب سياقا تاريخيا أطول (برات، ٢٠٠٨).

هـ. الهوية الثقافية

يمكن فهم الهوية الثقافية على أنها الطريقة التي يعرّف بها الراوي/المسافر نفسه (الذات) ويعرّف الآخرين (الآخر) من خلال اختيار القصص ولغة الحكم واستراتيجيات التمثيل عند مواجهة بيئات اجتماعية وثقافية مختلفة (برات، ٢٠٠٨، ص. ٣). لا تظهر الهوية الثقافية في نصوص السفر عادة كعلامة ''قائمة بذاتها''، ولكنها واضحة في عملية سرد القصص: ما يعتبر ''عاديا/غير طبيعي''، ما العادات التي تشاهد بها أو انتقادها، والمقارنات بين ''نحن وهم''، وكيف يضع الراوي نفسه في الفضاء الجديد الذي يدخله (برات، ٢٠٠٨).

ومن هذا المنظور، ترتبط الهوية الثقافية في روايات الرحلات دائما بعلاقات القوة: من له الحق في التسمية، ومن يعتبر مركز المعرفة، ومن يوضع كموضوع للمعرفة. المفهوم الأساسي لقراءة هذه العملية هو منطقة الاتصال، وهي الفضاء الاجتماعي حيث تلتقي الثقافات المختلفة، وتتصادم، و''تتصارع''، في كثير من الأحيان في علاقة غير متكافئة للغاية بين الهيمنة والتبعية (على سبيل المثال، الاستعمار والعبودية وإرثهما) (برات، ١٩٩٢، ص. ٣٤؛ برات، ٢٠٠٨).

في منطقة الاتصال، تميل الهوية الثقافية إلى أن تكون ديناميكية: تجبر اللقاءات الأشخاص على إعادة تعريف موقفهم باستمرار، أحيانا يؤكدون، وأحيانا يتساءلون، وأحيانا يغيرون الطريقة التي يفهمون بها ''من هم'' و''من هم الآخرون'' (برات، ٢٠٠٨). في هذه المرحلة، يمكن تفسير تغيير الهوية من خلال التثاقف، وهي العملية التي تقوم من خلالها المجموعات التابعة/المهمشة باختيار ومعالجة و''إنشاء'' المواد الثقافية التي تأتي من الثقافة السائدة؛ إنهم لا يتحكمون دائما في ما ''تفرضه'' الثقافة السائدة، لكنهم ما زالوا يحددون إلى حد ما ما يتم استيعابه، وكيفية استخدامه وما هو المعنى الناتج (برات، ٢٠٠٨، ص. ٧).

تتجلى الهوية الثقافية أيضا من خلال استراتيجيات التعبير الإثنوغرافي الذاتي/الإثنوغرافي الذاتي، أي عندما يمثل الأشخاص المستعمرون أنفسهم بطريقة تتحاور مع مصطلحات المستعمر (برات، ١٩٩٢، ص. ٩). وعلى العكس من ذلك، يذكرنا برات أيضا بشخصية الرجل الناظر، أي الموضوع (في تقليد خطاب المناظر الطبيعية الأوروبية) الذي تبدو نظرته وكأنها ''مجرد مراقبة'' ولكنها في الواقع مسيطرة، ''العيون الإمبراطورية'' *imperial eyes* التي تنظر إلى الفضاء الذي يتم مشاهدته وفي الوقت نفسه ''تمتلكه'' بحيث تساعد طريقة الرؤية في تشكيل طريقة تعريف الآخر (برات، ٢٠٠٨، ص. ٩). وهكذا، يمكن تحليل الهوية الثقافية في أدب الرحلة ليس باعتبارها

شيئا ''ثابتا''، ولكن باعتبارها نتيجة للتمثيلات والمفاوضات التي تستمر في العمل طوال الرحلة وطوال بناء السرد (برات، ٢٠٠٨).

و. نقاط القوة والقيود في نظرية ماري لويز برات لأدب الرحلة

إحدى نقاط القوة الرئيسية لنظرية ماري لويز برات هي قدرتها على الكشف بشكل منهجي وملموس عن أبعاد علاقات القوة في أدب الرحلة. من خلال عيون إمبراطورية *Imperial Eyes*، وضح برات أن أدب الرحلات ليست مجرد سجل للتجارب الشخصية، ولكنها ممارسة تمثيلية تشكل الطريقة التي يفهم بها المجتمع العالم والآخرين خارج نفسه. إنها تضع نصوص السفر كجزء من إنتاج المعرفة الإمبراطورية التي تعمل من خلال اللغة والتصنيف ووجهة نظر الراوي (برات، ٢٠٠٨، ص. ٣). ويعني هذا النهج أن التحليل الأدبي لا يتوقف عند محتوى القصة، بل يتعمق في كيفية بناء المعنى، وكيفية بناء موقف الموضوع، وكيف يتم توجيه القراء لقبول ترتيب معين للمعنى. وفي الدراسات النقدية لأدب الرحلات، يعتبر نهج برات ناجحًا في تحويل القراءة من مجرد وصفية إلى أيديولوجية وبلاغية (ألكانتارا، ٢٠٠٩، ص . ٢).

وتكمن ميزة أخرى في قوة مفاهيمها التحليلية، والتي من السهل نسبيا تنفيذها في البحث النصي، مثل منطقة الاتصال، التثاقف، والإثنوغرافيا الذاتية، وشخصية الرجل الرائي. تسمح هذه المفاهيم للباحثين بتحديد أجزاء السرد التي تحتوي على لقاءات بين الثقافات، ومفاوضات الهوية، واستراتيجيات التمثيل الذاتي، والطريقة التي تبني بها نظرة الراوي السلطة الرمزية بشكل ملموس. في العديد من دراسات ما بعد الاستعمار، تم الاعتراف بالعيون الإمبراطورية كعمل مهم يوفر أساسا منهجيا قويا لقراءة العلاقة بين المعرفة والقوة في نصوص السفر (كلارك، ٢٠١٨، ص ٤٠–٤١).

الميزة التالية هي اهتمام برات بفاعلية الأحزاب المهمشة. ومن خلال مفهوم التثاقف *transculturation* ، يرفض برات الرأي القائل بأن المجموعات التابعة هي مجرد متلقين سلبيين للتأثيرات الثقافية المهيمنة. وتؤكد أن هذه المجموعات لا تزال تتمتع

بالقدرة على اختيار ومعالجة وإعادة تفسير عناصر الثقافة الأجنبية وفقا لاهتماماتها وسياقها (برات، ١٩٩٢). وهذا يجعل نظرية برات ذات صلة بقراءة موضوعات البحث التي تتميز بتفاعلات معقدة بين الثقافات.

ومع ذلك، فإن نظرية برات لديها أيضا عدد من القيود. أحد الانتقادات الرئيسية هو أن مفهوم منطقة الاتصال يميل إلى أن يكون واسعا شديد التجريد، بحيث تكون حدوده التشغيلية غير واضحة في كثير من الأحيان. يمكن تصنيف جميع أشكال اللقاءات الثقافية تقريبًا على أنها مناطق اتصال إذا لم تكن محدودة بشكل صارم، مما قد يضعف حدة التحليل (كلارك، ٢٠١٨، ص ١١-٦١). وقد تعرض هذا المفهوم أيضا لانتقادات بسبب اعتماده الضمني بشكل كبير على السياق الاستعماري الكلاسيكي، بحيث يصبح من الضروري توخي الحذر عند تطبيقه على النصوص المعاصرة لتجنب تبسيط التعقيد الاجتماعي.

علاوة على ذلك، تعرض مفهوم التثاقف *transculturation* لانتقادات بسبب خطر استخدامه بشكل فضفاض وعام للغاية، وخاصة إذا لم يكن مدعوما بأدلة نصية محددة. في ممارسة البحث، وبدون مؤشرات واضحة، يمكن أن يصبح التداخل الثقافي مصطلحا مرنا للغاية ويفقد حدته التحليلية (كلارك، ٢٠١٨، ص ١١. ٦٢). وبالنظر إلى نقاط القوة والقيود هذه، تظل نظرية ماري لويز برات قوية جدا لقراءة أدب الرحلات، خاصة في الكشف عن علاقات القوة، وديناميكيات اللقاءات الثقافية، وعملية تكوين الهوية. ومع ذلك، فإن تطبيقه يتطلب قيودا مفاهيمية دقيقة .

ز. نقد نظرية ماري لويز برات في أدب الرحلة

كانت هناك انتقادات كبيرة لنظرية ماري لويز برات في أدب الرحلات، خاصة كما صيغت في *Imperial Eyes*. ينبع هذا النقد من أسئلة منهجية: إلى أي مدى يمكن إثبات أن مفاهيم مثل التداخل الثقافي *transculturation* وعلاقات القوة في مناطق الاتصال *contact zone* ''تعمل'' بالفعل في الممارسة الاجتماعية، بدلا من مجرد الظهور

كتأثيرات بلاغية في النصوص، تقيم كاثرين هول قوة العيون الإمبراطورية في نطاقها الواسع ووضوح حجتها، بما في ذلك تأكيدها على العلاقة بين ''المكتشف'' و''المكتشف'' واهتمامها بمقاومة المستعمرين (كاثرين، ١٩٩٣). ومع ذلك، رأى هول أن برات لا تُقنع بما يكفي في إظهار ما إذا كان التحول الثقافي قد حدث بالفعل وكيف تشكل التفكير الأوروبي في مناطق الاتصال؛ بالإضافة إلى ذلك، ينتقد هول الميل إلى قراءة النص دون وضعه في السياق التاريخي لقرائه، فضلاً عن مشكلة التعامل مع ''أوروبا'' بشكل موحد للغاية (كاثرين، ١٩٩٣).

هناك انتقاد آخر إستهدف تعميم برات حول ''براءة'' المسافرين الطبيعيين من خلال استراتيجيات مناهضة الغزو *anti-conquest*. يُظهر فحص ملاحظات أربعة مسافرين من القرن الثامن عشر في جنوب إفريقيا أن كتاب الرحلات لم يظهروا دائما كمواضيع روجت باستمرار (أو دون وعي) للهيمنة الأوروبية: في بعض الأجزاء كانوا متعاطفين مع السكان الأصليين، ولكن في أجزاء أخرى بل دعموا صراحة الأهداف الإمبريالية. هذه النتيجة تجعل فكرة ''البراءة'' أقل استقرارا عند تطبيقها كنمط واحد، بحيث يجب قراءة تورط الكاتب مع الإمبريالية بأدلة تاريخية داعمة وقراءة أكثر شمولا (غويلكه وغويلكه،٢٠٠٤).

وفي الدراسات التي أعقبت برات، تعرضت منطقة الاتصال *contact zone* أيضا لانتقادات بسبب استخدامها بطريقة معيارية/تعميميةكتحليل للخطاب بدلا من كونها تجربة حقيقية. يؤكد شورش أن اعتماد مفهوم ''المتحف كمنطقة اتصال'' لا يكون مصحوبا في كثير من الأحيان بأدلة تجريبية حول كيفية تجربة ''الاتصال'' من قبل الأشخاص، وما يعنيه ذلك بالنسبة لهم، وكيف تتم المفاوضات/الصراعات بشكل ملموس (شورش، ٢٠١٥). ويزعم أن الكثير من الأدبيات تميل إلى الابتعاد عن المنظور المؤسسي (المتحفي)، بحيث يتم تفسير المعاني التي يبنيها الزوار أو الفاعلون الثقافيون بشكل أقل (شورش، ٢٠١٣، ص ١١. ٦٨).

الفصل الثالث

منهج البحث

أ.نوع البحث

استخدمت الباحثة في هذا البحث منهجا وصفيا نوعيا مع نوع دراسة مراجعة الأدبيات. تم اختيار النهج النوعي لأن البحث ركّزَ على معنى وتمثيل وعملية التفاعل الثقافي التي تبنيها سرديات السفر، بدلا من التركيز على الأرقام أو القياسات الإحصائية (سوجيونو في سلام، ٢٠٢٤: ١٦). اتّسم هذا البحث لأنه هدف إلى وصف الظاهرة المدروسة وشرحها قيد الدراسة بالتفصيل استنادا إلى البيانات النصية. من الناحية النظرية، استخدمت الباحثة في هذا البحث إطار أدب الرحلة لماري لويز برات للإجابة على أسئلة البحث، وهي: (١) تحليل التفاعلات الثقافية بين الشخصيات في رواية من إسطنبول إلى قرطبة تشكل منطقة اتصال ثقافية كمساحة اجتماعية حيث تلتقي الثقافات في علاقات قوة غير متكافئة و (٢) دراسة كيفية تشكيل هويات الشخصيات والتفاوض بشأنها أو تبنى من خلال التفاعلات الثقافية في منطقة الاتصال، بما في ذلك من خلال عملية التثاقف (برات، ١٩٩٢).

ب. البيانات و مصادرها

البيانات هي كل المعلومات ذات الصلة بالموضوع الذي تتم دراسته. في البحث النوعي، غالبا ما تأخذ البيانات شكل كلمات وجمل ورموز وسياق (سلام، ٢٠٢٤). يمكن فهم مصادر البيانات على أنها أفراد أو أشياء مختلفة يمكنها توفير البيانات والمعلومات والحقائق والأحداث المتعلقة بموضوع الدراسة أو البحث. وفي الوقت نفسه، تتضمن البيانات جميع أشكال المعلومات والحقائق والأحداث ذات الصلة بالتركيز الذي يتم البحث فيه أو دراسته. لذلك فإن تحديد مصدر البيانات يعد جانبا مهما يجب

مراعاته عند تحديد أساليب وتقنيات جمع البيانات (نصوتيون، ٢٠٢٣). استخدمت الباحثة في هذا البحث عدة مصادر للبيانات، ولخّصتها على النحو الآتي على النحو الآتي

١. البيانات الأساسية ومصادرها

أ) مصادر البيانات الأساسية

مصادر البيانات الأساسية هي مصادر البيانات التي توفر البيانات مباشرة لجامعي البيانات دون المرور عبر وسطاء. يحصل على هذه البيانات من مادّة الدراسة، على سبيل المثال من خلال المقابلات أو الملاحظات أو الاستبيانات (سوجيونو، ٢٠١٣). المصدر الرئيسي للبيانات في هذا البحث هو رواية من إسطنبول إلى قرطبة لأحمد فاضل شبلول، الصادرة عام ٢٠٠٦، والتي تحتوي على ١٠٠ صفحة وطبعتها دار الوفاء لدنيا الطيبة للنشر والتوزيع في مصر.

ب) البيانات الأساسية

البيانات الأساسية هي البيانات التي تستخرج عليها مباشرة من المصادر الأولية ذات الصلة بمجال البحث (سلام، ٢٠٢٤). تكوّنت البيانات الأولية في هذا البحث من كلمات أو جمل أو فقرات على شكل حوار أو مونولوج أو رواية من رواية من إسطنبول إلى قرطبة للكاتب أحمد فاضل شبلول.

٢. البيانات الثانوية ومصادرها

أ) مصادر البيانات الثانوية

مصادر البيانات الثانوية هي مصادر البيانات التي لا يحصل عليها مباشرة من قبل جامعي البيانات، بل من خلال وسطاء مثل الأطراف الأخرى أو الوثائق المكتوبة (سوجيونو، ٢٠١٣). في هذا البحث، استخدمت مصادر البيانات الثانوية بوصفها بيانات داعمة

لتعزيز النتائج وبناء الحجج ذات الصلة. يمكن أن تكون هذه المصادر أعمال أدبية، أو مقالات صحفية، أو مقالات علمية، أو دراسات سابقة ذات صلة بمحور الدراسة.

ب)البيانات الثانوية

البيانات الثانوية هي البيانات التي لا تستمد مباشرة عليها مباشرة من المصادر الأولية، بل من المصادر الداعمة مثل الوثائق المكتوبة والمقالات ونتائج الأبحاث السابقة (سوجيونو، ٢٠١٣). تكوّنت البيانات الثانوية في هذا البحث من المعلومات والأوصاف النظرية ونتائج الدراسات/الأوصاف النظرية ونتائج الدراسة من المصادر الداعمة المستخدمة لتعزيز تحليل البيانات الأولية. اشتملت هذه البيانات على مفاهيم وتعريفات وشروحات تناقش نظريات ماري لويز برات (منطقة الاتصال، التثاقف، وأدب الرحلة)، بالإضافة إلى الأدبيات ذات الصلة بأدب الرحلات، وما بعد الاستعمار، والهوية، وتمثيل الآخر كمراجع لإثراء السياق والتحقق من صحة نتائج البحث.

ج. طريقة جمع البيانات

طريقة جمع البيانات هي الأساليب التي يستخدمها الباحثون لجمع البيانات والمعلومات والحقائق الداعمة المختلفة اللازمة للبحث (دحلان، ٢٠٢٢). استنادا إلى موضوع البحث وهو رواية من إسطنبول إلى قرطبة، فإن طريقة جمع البيانات المستخدمة هي طريقة القراءة وتدوين الملاحظات. استخدمت الباحثة تقنية القراءة للحصول على فهم شامل للنص، خاصة فيما يتعلق بالحبكة والإعداد والشخصيات واللقاءات الثقافية التي ظهرت في السرد. بعد ذلك، ثم استخدمت الباحثة تقنية تدوين الملاحظات لتوثيق الأجزاء المهمة من النص ذات الصلة بمحور البحث حتى عالجت الباحثة البيانات معالجة منهجية.

١. طريقة القراءة

طريقة القراءة هي طريقة لاستخراج المعلومات أو الأفكار أو المعاني الموجودة في النصوص المكتوبة حتى يتمكن الباحثون من اكتساب فهم أعمق لموضوع الدراسة (دحلان، ٢٠٢٢). في هذا البحث، تم تطبيق طريقة القراءة على رواية من إسطنبول إلى قرطبة كمصدر رئيسي للبيانات لالتقاط سرد الرحلة، وسياق اللقاءات الثقافية، وأشكال التمثيل ذات الصلة بتركيز البحث.

تطبيق طريقة القراءة في هذا البحث من خلال عدة خطوات: (١) قراءة الباحثة لرواية من إسطنبول إلى قرطبة بالكامل لفهم الرحلة والشخصيات والبيئة والمواقف الاجتماعية والثقافية الموصوفة؛ (٢) أعادت الباحثة قراءة الرواية بعناية أكبر مع التركيز على الأقسام المتعلقة بإشكالية البحث ١- إشكالية البحث ٢، وخاصة المشاهد/الأوصاف التي تصور اللقاءات الثقافية، كيف تنظر الشخصيات إلى ''الذات'' و''الآخر''، وسرديات السفر البارزة؛ (٣) ثم وضعت الباحثة علامات ودوّنت ملاحظات على الفقرات أو الجمل المهمة التي لديها القدرة على أن تصبح بيانات، من خلال كتابة رقم الصفحة وسياق موجز؛ (٤) تحقّقت الباحثة مرة أخرى من كل اقتباس محدد من خلال قراءة السياق قبله وبعده لتجنب سوء فهم المعنى ووضع البيانات في غير مكانها في إطار أدب الرحلات لماري لويز برات المتعلق باللقاءات الثقافية وعمليات التفاوض الثقافي؛ و (٥) اختارت الباحثة البيانات الأكثر صلة واتساقا والأقوى البيانات لدعم الإجابات على إشكالية البحث١- إشكالية البحث ٢ بحيث تكون جاهزة للتحليل باستخدام إطار نظرية البحث.

٢. طريقة الكتابة

طريقة الكتابة هي تقنيات تستخدم لتسجيل البيانات التي تم جمعها من تقنيات القراءة، أو عن طريق تسجيل الأحداث الماضية، واختيار البيانات وفقا

لما هو مطلوب (ماشون، ٢٠١٧). تقنية الكتابة هي طريقة لتدوين البيانات التي تم الحصول عليها من تقنيات القراءة، بما في ذلك تسجيل الأحداث الماضية، ثم اختيار البيانات وفقا لاحتياجات البحث (ماشون، ٢٠١٧). في هذا البحث، وظّفت الباحثة طريقة التدوين لكتابة اقتباسات مهمة من رواية من إسطنبول إلى قرطبة بحيث تكون البيانات منظمة بدقة، وسهلة التحقق منها مرة أخرى، وجاهزة للتحليل.

طبّقت الباحثة هذه الطريقة من خلال الخطوات الآتية: (١) سجّلت الباحثة الاقتباسات التي تم وضع علامة عليها أثناء قراءة رواية من إسطنبول إلى قرطبة، ثم تعديلها وفقا لفئات صياغة المشكلة إشكالية البحث١- إشكالية ٢ ؛ (٢) استكملت الباحثة كلّ اقتباس بمعلومات واضحة، مثل أرقام الصفحات وسياق المشهد (من كان مشاركا، والمكان، والوضع) بحيث تكون المصادر دقيقة وسهلة التتبع؛ (٣) نقلت الباحثة الاقتباسات المختارة إلى جدول بيانات بحيث يتم تخزينها بدقة ومنهجية ويمكن أن تكون بمثابة أساس للحجج في المناقشة؛ (٤) صنّفت الباحثة البيانات بناء على صياغة المشكلة وإطار أدب الرحلات الخاص بماري لويز برات عن طريق تعيين الرمز البيانات التي أوضحت تكوّن منطقة الاتصال من خلال التفاعل الثقافي والهوية للبيانات التي أوضحت تكوين هويات الشخصيات أو التفاوض بشأنها أو بنائها داخل منطقة الاتصال؛ (٥) أعادت الباحثةُ تنظيمَ البيانات بناء على هذه الرموز لتسهيل مرحلة التحليل واستخلاص نتائج أكثر اتساقا.

د. طريقة تحليل البيانات

استخدمت الباحثة في هذا البحث نموذج تحليل البيانات لمايلز وهوبرمان، الذي تضمّن ثلاثة أنشطة متكررة ومترابطة، وهي تقليل البيانات، وعرض البيانات، واستخلاص الاستنتاجات والتحقق منها (مايلز وآخرون، ٢٠١٤).

١. تحفيض البيانات

إن تحفيض أو تكثيف هي عملية اختيار البيانات وتركيزها وتبسيطها من النص الكامل للرواية بحيث تكون أكثر جاهزية للتحليل (مايلز وآخرون، ٢٠١٤). أجرت الباحثة تكثيفَ البيانات من خلال الخطوات التالية: (١) اختارت الباحثة اقتباسات من رواية من إسطنبول إلى قرطبة التي تتعلق بالتفاعلات الثقافات بين الشخصيات وتشكيل الهوية أو التفاوض عليها؛ (٢) صنّفت الباحثة الاقتباسات حسب وظائفها، مثل مشاهد اللقاءات الثقافية، وطرق تفسير الشخصيات لأنفسها وللآخرين، وأشكال قبول أو رفض العناصر الثقافية الأخرى؛ (٣) دوّنت الباحثة الاقتباسات التي تعمل كمعلومات أساسية عن الشخصيات والمواقف والأماكن من أجل توضيح سياق اللقاءات الثقافية؛ و(٤) أعادت الباحثة تنظيم هذه الاقتباسات بشكل منهجي بحيث يسهل تحليل العلاقات بين اللقاءات الثقافية والهوية والسياق بسهولة أكبر.

٢. عرض البيانات

عرض البيانات هو عملية تنظيم البيانات بطريقة تسهل على الباحثين رؤية الأنماط والعلاقات والاتجاهات، وتساعد في عملية استخلاص النتائج (مايلز وآخرون، ٢٠١٤). عرضت الباحثة البيانات من خلال الخطوات التالية: (١) نظّمت الباحثة البيانات المكتسفة من رواية من إسطنبول إلى قرطبة في شكل جداول؛ (٢) رتّبت الباحثة الجداول على أساس مواقع السفر أو المشاهد الرئيسية؛ (٣) أدرجت الباحثة الاقتباسات وأرقام الصفحات والملاحظات السياقية الموجزة في كل مدخل للسماح بالرجوع بسهولة إلى النص الأصلي؛ و(٤) استخدمت الباحثة هذه الجداول كأساس لتحديد أنماط اللقاءات الثقافية والتفاوض حول الهوية قبل المناقشة.

٣. الاستنتاج

استخلاص النتائج هو مرحلة يتم تنفيذها من خلال تفسير معنى البيانات المعروضة للإجابة على صياغة المشكلة من خلال تحديد الأنماط وشرحها وربط العلاقات بين البيانات. (مايلز وآخرون، ٢٠١٤). أجرت الباحثة عملية استخلاص النتائج والتحقق منها من خلال الخطوات التالية: (١) صاغت الباحثة الاستنتاجات الأولية من تحليل رواية من إسطنبول إلى قرطبة فيما يتعلق بالتفاعلات الثقافية وتشكيل هويات الشخصيات؛ (٢) تحقّقت الباحثة من هذه الاستنتاجات من خلال العودة إلى الرواية للتأكد من دقة أرقام الصفحات وسياقات المشهد ومعاني الاقتباسات؛ (٣) راجعت الباحثة ما إذا كانت الاقتباسات المختارة قد دعمت التفسيرات حقا؛ و(٤) أعادت الباحثة قراءة الأقسام الرئيسية عند الضرورة، بحيث استندت الاستنتات النهائية إلى الأدلة النصية لا على الافتراضات.

الفصل الرابع

عرض البيانات وتحليلها

عرض هذا الفصل نتائج بحث ومناقشة رواية ''من إسطنبول إلى قرطبة'' لأحمد فاضل شبلول، التي نشرتها دار الوفاء لدنيا الطباعة والنشر والتوزيع في مصر عام ٢٠٠٦ وتتكون من ١٠٠ صفحة. ''من إسطنبول إلى قرطبة'' تروي الرواية تجربة سفر بطلها شبلول، حيث زار عدة مدن مثل اسطنبول، بورصة، الكويت، الرياض، فارنا، دبي، وقرطبة (إسبانيا). تحتوي الرواية على أشكال مختلفة لمنطقة الاتصال التي عرضت من خلال السرد والحوار والاقتباسات. في هذا البحث''من إسطنبول إلى قرطبة'' درست الباحثة بدراسة أشكال منطقة الاتصال وكذلك تشكل هوية الشخصية الرئيسية، شبلول. ارتكزت هذه المناقشة على نظرية ماري لويز برات في أدب الرحلات. ركّزت المناقشة في هذا البحث على جانبين رئيسيين: التفاعلات الثقافية بين الشخصيات في تشكيل منطقة اتصال ثقافية وتشكيل هوية الشخصية من خلال التفاعلات الثقافية التي حدثت داخل تلك المساحة. وفقا لإشكالية البحث وآليات التحليل المعتمدة ، قُدّمت بيانات البحث بناء على تصنيف البيانات ذات الصلة بهذين التركيزين لضمان تحليل منهجي ومركّز.

وتوصّلت بعد ذلك إلى عدة نتائج تتفق مع أهداف البحث وأسئلته، وهي أشكال مناطق الاتصال التي ظهرت في رحلة الشخصية الرئيسية وأشكال تكوين هوية الشخصية في رواية من إسطنبول إلى قرطبة لأحمد فاضل شبلول استنادا إلى نظرية ماري لويز برات، على النحو التالي:

أ. التفاعلات الثقافية للشخصية في الرواية من إسطنبول إلى قرطبة في تشكيل منطقة اتصال (contact zone) بناء على نظرية ماري لويز برات

قرأت الباحثة التفاعلات الثقافية في رواية من إسطنبول إلى قرطبة بوصفها شكلًا من أشكال منطقة الاتصال، وهي مساحة اجتماعية تلتقي فيها الثقافات المختلفة، وتتقابل، وتفاوضت حول المعاني. ومن منظور برات، لا تنشأ منطقة الاتصال بسبب اللقاءات بين الثقافات فحسب، بل لأن أدّت هذه اللقاءاتُ إلى اختلافات في المواقف، أو إلى التكيف، أو التوتر، أو علاقات القوة بين الأطراف المعنية (برات، ١٩٩٢، ص. ٣٤). لذلك، لا تفهم البيانات الواردة في هذا القسم بوصفها مجرد تسجيل لرحلة بطل الرواية، بل بوصفها دليلا على أن كل لقاء يخوضه البطل مع مجتمعات، ولغات، وطقوس، وفضاءات ثقافية جديدة يُنتج علاقات ليست محايدة دائمًا. ومن خلال هذه التجارب، لا يكتفي البطل بملاحظة الثقافات الأخرى، بل عمل أيضا على تفسيرها، ومقارنتها، والتفاوض على موقعه داخل الفضاءات الثقافية التي يدخلها.

١. منطقة الاتصال الثقافي من خلال الطقوس والممارسات الدينية

وظهرت منطقة الاتصال الثقافي من خلال الطقوس والممارسات الدينية في هذه الرواية؛ إذ لا يصوّر الإسلام بوصفه ممارسة موحَّدة تمامًا في جميع البيئات. بل اكتشف البطل أن المجتمعات الإسلامية المختلفة تباينت في الطقوس، والإشارات الاجتماعية، وعادات العبادة، وطرائق الاحتفال بالأعياد الكبرى. وبالتالي، فإن لم تعمل الطقوسُ الدينية بوصفها أعمال عبادة فحسب، بل أيضا كمساحات للقاء الثقافي. ومن خلال هذه المساحات، احظ البطلُ أن الإسلامَ تجلّى في أشكال محلية متنوعة، مما اضطرّه إلى التكيّف ومراقبة وتفسير الممارسات الدينية التي ما توافقت بشكل كامل مع عاداته الخاصة.

وفي إطار نظرية برات، يمكن تفسير البيانات الواردة في هذا القسم الفرعي على أنها منطقة اتصال لأن بطل الرواية يقع في فضاء اجتماعي تتقاطع فيه الثقافات المختلفة من خلال ممارسات تبدو بسيطة، مثل طريقة دخول المسجد، وعادات ما بعد الصلاة، والاحتفال بعيد الأضحى. تؤكد برات أن منطقة الاتصال لا يجب أن تكؤن دائما صراعات كبرى، بل قد ظهرت في اللقاءات اليومية حين تجعل الاختلافات الثقافية الفرد أكثر وعيًا بموقعه وموقع الآخرين. ولذلك، يتم تقرأ الطقوس والممارسات الدينية في هذا الجدول على أنها مساحات تتلاقى فيها الهويات العربية الإسلامية والإسلامية التركية والإسلامية العابرة للحدود الوطنية.

الجدول ٤,١ بيانات منطقة الاتصال الثقافي من خلال الطقوس والممارسات الدينية

الرقم	الرمز	الاقتباس	الصفحة	المكان	العنصر الثقافي	السياق
١	CZ1-01	واكتشفت أن الدوائر الحكومية والمصالح والشركات والدولة كلها تعمل يوم الجمعة عملاً عادياً، وأن الإجازة أو الراحة الأسبوعية للموظفين والدولة تكون يومي السبت والأحد، وليس الجمعة كمعظم الدول الإسلامية .	٢٧	إسطنبول	يوم الجمعة يوم عمل عادي في تركيا	منطقة اتصال ديني–سياسي: يكتشف الراوي أن الدولة التركية العلمانية لا تُقدِّس يوم الجمعة كيوم عطلة دينية، خلافاً للممارسة الإسلامية السائدة في بلده، مما يكشف عن توتر بين الهوية الإسلامية للمجتمع والنظام العلماني للدولة

		(Shabloul, 2006, p. 27)				
٢	CZ1-02	وبدأ بالمصافحة من كل جلس بجواره عن اليمين واليسار... ولم أجد أحداً من الأتراك يصافح من جلس عن يمينه ويساره مثلما فعلت (Shabloul, 2006, p. 26)	٢٦	بورصة	المصافحة بعد الصلاة: من التقاليد العربية مصافحة الجالسين عن اليمين واليسار بعد التسليم تعبيراً عن الأخوّة، بينما لا يمارس الأتراك هذا السلوك، بل يكتفون بالسلام باتجاه الإمام ثم ينصرفون.	منطقة اتصال اجتماعية: اختلاف في التعبير عن التدين من خلال الإيماءات الاجتماعية بعد أداء العبادة
٣	CZ1-03	ودخل علينا عيد الأضحى المبارك، وبعد صلاة العيد اصطحبنا إلى منزل أحد أصدقائه الأتراك لنتناول طعام إفطار أول أيام العيد وسط جمع من الرجال من أعضاء هيئة التدريس بجامعة الكويت ومن الدبلوماسيين	٢٦	الكويت	الاحتفال عيد الأضحى عبر ثقافات متعددة: حضر الاحتفال مصريون وأتراك وكويتيون، وتضمّن المأدبة أطعمة تركية تقليدية للعيد مثل (البوريك، الدولما، الشاي)، مع فصل أماكن جلوس النساء في شقق مستقلة وفق العرف التركي	منطقة اتصال عابرة للجنسيات: يتحول الاحتفال الإسلامي إلى فضاء تلتقي فيه جماعات مسلمة مختلفة الخلفيات، حيث تمثل الكويت "أرضاً محايدة" تتيح التعايش والاحتفال المشترك بعيداً عن التوترات التاريخية

		بالسفارة التركية (Shabloul, 2006, p. 69)				

تتشكّل منطقة الاتصال في رواية من إسطنبول إلى قرطبة من خلال الطقوس والممارسات الدينية. ووفقا لمفهوم ماري لويز برات، فإن منطقة الاتصال هي فضاء اجتماعي تلتقي فيه الثقافات المختلفة وتتصادم وتتفاعل فيما بينها ضمن علاقات لا تكون متكافئة بصورة كاملة في كثير من الأحيان (برات،١٩٩٢). وتبدو أهمية هذا المفهوم في تفسير البيانات الآتية، لأن اللقاءات التي حدثت لا تقع بين أديان مختلفة، بل بين مجتمعات مسلمة تنتمي جميعها إلى الإسلام، لكنها تمارس عادات محلية تختلف من مجتمع إلى آخر. لذلك، لا يمكن تفسير الطقوس الدينية في هذه الرواية بوصفها مجرد ممارسات عبادية، بل بوصفها أيضا فضاءات للقاء الثقافي. ويتوافق هذا التفسير مع ما أكده تومسون من أن أدب الرحلات يعدّ تسجيلا لعمليات التفاوض بين أوجه التشابه والاختلاف الذي ينشأ أثناء اللقاءات بين الذات والآخر (تومسون، ٢٠١١، ص ١١- ١٠).

أوضحت البيانات CZ1-01 منطقة اتصال ديني-سياسي من نوع خاص. فبعد أن أدّى الراوي صلاة الجمعة في إسطنبول، خرج ليكتشف أن الأسواق مفتوحة والدوائر الحكومية عملت بصورة اعتيادية تامة، وأن يوم العطلة الأسبوعية في تركيا هو السبت والأحد لا الجمعة، خلافاً لما هو سائد في معظم الدول الإسلامية. ربط الراوي هذا الاكتشاف مباشرةً بإصلاحات مصطفى كمال أتاتورك عام ١٩٢٤، التي أفضت إلى إلغاء الخلافة الإسلامية، والفصل بين الدولة والدين، واستبدال الشريعة الإسلامية بالتشريعات المدنية الأوروبية.

تتشكّل منطقة الاتصال هنا لا من خلال منع ممارسة الشعيرة الدينية، بل من خلال تعارض نظامَي المعنى المرتبطَين بزمن مقدس واحد. فالراوي القادم من البيئة العربية الإسلامية حمل تصوراً مفاده أن يوم الجمعة ينبغي أن يكون معترفاً به على مستوى

الفضاء العام بوصفه يوماً للعبادة، في حين أن الدولة التركية العلمانية تتعامل مع هذا اليوم بوصفه يوماً عادياً في أسبوع العمل. ويولّد هذا التعارض ما وصفته برات بأنه أحد السمات الأساسية لمنطقة الاتصال، وهو وجود توتر ناتج عن التقاء منظومتين ثقافيتين مختلفتين داخل فضاء اجتماعي واحد (برات، ١٩٩٢، ص ١١. ٣٤).

ويتمثّل عنصر القوة غير المتكافئة هنا في حقيقة أن الدولة، بوصفها السلطة السياسية العليا، هي التي تحدّد بنية الزمن العام وتنظم أيام العمل والعطلة الرسمية، بغضّ النظر عن الهوية الدينية للأغلبية السكانية. وعلى الرغم من أن المجتمع التركي ذو أغلبية مسلمة، فإن يوم الجمعة لا يحظى بوضع رسمي بوصفه يوم عطلة، بل يُعامل باعتباره يوماً عادياً من أيام العمل. ويُدرك الراوي هذا التناقض بوضوح لأنه ينظر إليه من خارج السياق التركي، مستنداً إلى مرجعية ثقافية تشكّلت في بيئة إسلامية تُمنح فيها الجمعة مكانة خاصة داخل الحياة العامة. ولذلك يصبح هذا الاختلاف مصدراً للتأمل في العلاقة بين الدين والدولة داخل المجتمع التركي المعاصر. ومن منظور برات، كشفت هذه البيانات أن منطقة الاتصال قد تنشأ حتى بين مجتمعات تشترك في الانتماء الديني نفسه عندما تختلف في تنظيم المجال العام وتحديد مكانة الرموز الدينية داخله.

كشفت البيانات CZ1-02 عن اختلافات في الإيماءات الاجتماعية بعد الصلاة. فقد اعتاد البطل مصافحة الأشخاص الجالسين عن يمينه وعن يساره، لكنه لم وجد الجماعة التركية تفعل الشيء نفسه. وتدل هذه الحادثة على أن الممارسات الدينية لا تقتصر على طقوس العبادة الأساسية فحسب، بل تشتمل أيضا على عادات اجتماعية متنوّعة تختلف باختلاف ثقافة المجتمع.

كشفت هذه البيانات عن منطقة اتصال في صورة أكثر دقّة وهدوءا. فالبطل والجماعة التركية يؤدون الصلاة نفسها، غير أنهم يختلفون في طريقة التعبير عن روح الجماعة بعد العبادة. و عملت علاقات القوة في هذه البيانات من خلال معايير اجتماعية غير منطوقة؛ إذ إن إيماءة البطل التي لم تلقَ استجابة من الجماعة المحيطة به

تجعل عادته، بصورة غير مباشرة، تبدو شيئًا غريبا داخل ذلك الفضاء. وهنا يدرك البطل أن العادة التي كان يعدّها مألوفة بوصفه مسلمًا عربيا لا تنطبق بالضرورة داخل الفضاء الإسلامي التركي.

ومن منظور برات، تؤكد منطقة الاتصال الطريقة التي تسهم بها الأطراف الحاضرة في فضاء واحد في تشكيل فهمها المتبادل من خلال التفاعل، بما في ذلك من خلال ما لا يفعله الطرف الآخر (برات، ٢٠٠٨، ص. ٨). ومن ثم، أشارت البيانات CZ1-02 إلى أن منطقة الاتصال يمكن أن تنشأ بين المسلمين أنفسهم، حين تلتقي الممارسات الإسلامية العربية التي حملها البطل مع المعايير الاجتماعية المختلفة في الإسلام التركي، فيقود هذا الاختلاف البطل إلى إدراك موقعه بوصفه شخصًا من خارج ذلك الفضاء.

أما البيانات CZ1-03 ظهرت الاحتفال بعيد الأضحى بوصفه فضاءً للقاء عابر للقوميات. فالبطل، بوصفه مصرياً، يحتفل بهذا العيد الإسلامي مع الأتراك في الكويت. وفي هذا الحدث أصبحت الهوية الإسلامية نقطة التقاء مشتركة، غير أن الخلفيات القومية واللغات والعادات الاجتماعية تظل مختلفة ومتعددة. و كشفت هذه البيانات عن منطقة اتصال ذات طابع استيعابي ومتعدد الطبقات. فعلى خلاف مجموعتي البيانات السابقتين اللتين كشفتا عن أشكال مختلفة من الاختلاف الثقافي، سواء في تنظيم الحياة العامة كما في البيانات CZ1-01 أو في الممارسات الاجتماعية المصاحبة للعبادة كما في البيانات CZ1-02، كشفت هذه البيانات عن فضاء أكثر انفتاحاً يجمع جماعات متعددة الخلفيات داخل مناسبة دينية واحدة. ومع ذلك، فإن هذا الفضاء لا يكون متجانساً تماماً ولا يخلو من ديناميات القوة. ويتضح ذلك من خلال هيمنة العناصر الثقافية التركية على أجواء اللقاء، بدءاً من الأطعمة التقليدية المقدمة في المناسبة مثل البوريك والدولما والشاي، ووصولاً إلى أسلوب تنظيم الضيافة والاحتفال.

ويظهر عنصر القوة بصورة أوضح في مسألة الفصل بين الرجال والنساء أثناء المناسبة، حيث تتناول النساء الطعام في مكان منفصل وفقاً للعرف التركي. ولا يُعد هذا التفصيل مجرد معلومة وصفية، بل يمثل عنصراً مهماً في تحليل منطقة الاتصال، لأنه يوضح أن فضاء اللقاء العابر للثقافات لا يزال منظماً وفق المعايير الاجتماعية والثقافية للطرف المضيف. وبذلك ما عملت الكويت بوصفها مكاناً للاحتفال باعتبارها فضاءً محايداً بالكامل، بل بوصفها فضاءً تستمر فيه المعايير التركية في تنظيم طريقة حدوث التفاعل بين الجماعات المختلفة.

وفي إطار نظرية برات، يُعد هذا الحدث منطقة اتصال عابرة للثقافات، حيث تلتقي جماعات مختلفة في مكان واحد وتتشارك مناسبة دينية موحدة، لكنها تظل تتحرك داخل بنية اجتماعية لا تتوزع فيها المعايير الثقافية بصورة متساوية تماماً. ولذلك تستمر ثقافة الطرف المضيف في لعب الدور الأكبر في تنظيم مسار التفاعل الاجتماعي وتحديد قواعده.

وتتفق هذه البيانات مع عدد من الدراسات السابقة التي تنظر إلى أدب الرحلات بوصفه فضاء للقاء الثقافي إذ أشارت البيانات الثلاث إلى أن الممارسات الدينية عملت كساحة للتفاوض حول المعنى، وهو وفقا لمنظور كارل طومسون (٢٠١١) الذي رأى أن أدب الرحلات يسجل التفاعل بين أوجه التشابه والاختلاف الثقافي. ويتوافق ذلك أيضا مع دراسة ستيفانوفيتش ولوبيتشيتش (٢٠٢٣) التي وضعت السفر بوصفه منطقة اتصال، وكذلك مع دراسة جينا إي. كيم (٢٠٢٤) التي أكدت أن هذا المفهوم ما يزال ذا صلة خارج السياق الاستعماري. بالإضافة إلى ذلك، أوضحت دراسة ناديا تشيلوينا (٢٠٢٥) أن تجربة السفر تثير تأملات حول الاختلافات الثقافية، كما يظهر في البيانات الثلاث.

أما الاختلاف عن الدراسات السابقة فيتمثل في تباين موضع التركيز. فدراسة أوتامي وبريماداني (٢٠٢٤) أكدت العلاقة بين الشرق والغرب في التمثيل الثقافي، في

حين أن هذا البحث ما ركّزت على هذه المعارضة، بل على اختلاف الممارسات داخل المجتمع الإسلامي نفسه. كما أن دراسة موليديا سيتي نور سوسي (٢٠٢٣) تسلط الضوء على التمثيلات المتناقضة للمكان، بينما تؤكد هذا البحث التفاعلات الثقافية التي ظهرت داخل الممارسات الدينية. كذلك ركّزت دراسة قطر الندى (٢٠٢٥) على جانب التأمل العاطفي في السفر، في حين ركّزت هذا البحث على الأشكال الملموسة لمنطقة الاتصال داخل الأنشطة الاجتماعية والدينية.

شكّلت الطقوس والممارسات الدينية في رواية *من إسطنبول إلى قرطبة* مناطق اتصال من خلال اختلاف الممارسات والتصورات داخل الفضاء الإسلامي. ففي البيانات CZ1-01 ظهرت منطقة الاتصال من خلال اختلاف النظرة إلى يوم الجمعة بين المرجعية الإسلامية التي حملها الراوي والنظام العلماني التركي الذي يتعامل مع هذا اليوم بوصفه يوماً عادياً للعمل. وفي البيانات CZ1-02 ظهرت منطقة الاتصال من خلال اختلاف عادة المصافحة بعد الصلاة. أما في البيانات CZ1-03 تجلّت منطقةُ الاتصال من خلال الاحتفال بعيد الأضحى العابر للقوميات، الذي جمع بين البطل المصري والأتراك والمجتمع المسلم في الكويت ضمن إطار أصبحت فيه المعايير الثقافية التركية هي المعايير الأكثر حضوراً في تنظيم الفضاء الاجتماعي.

إن وحدة الدين لا تعني بالضرورة المساواة في الموقع داخل الفضاء الثقافي. فعلى الرغم من أن البطل يتحرك داخل فضاءات إسلامية مشتركة، فإنه يظل في مواجهة تصورات ثقافية واجتماعية وسياسية مختلفة، إضافة إلى ممارسات محلية وعلاقات قوة لا تكون متكافئة دائما. وهذا ما يجعل البيانات الواردة في الجدول ٤,١ متوافقة مع نظرية برات؛ إذ إن مناطق الاتصال لا تنشأ فقط من خلال الصراعات الكبرى، بل أيضا من خلال التجارب اليومية الصغيرة مثل التكيف مع العادات المحلية، والاعتراف بالاختلافات الثقافية، وإدراك أن الفضاءات الاجتماعية والدينية شكّلت دائماً بفعل القوى الثقافية المحلية التي عملت بصورة مستمرة في الخلفية.

٢. منطقة الاتصال من خلال عادات الطعام والأكل

إن الطعام وعادات الأكل، كشكل من أشكال منطقة الاتصال في رواية من إسطنبول إلى قرطبة، ليست مجرد أطباق يستهلكها الشخصيات، بل هي أيضا بمثابة بوابة لفهم الثقافة والبيئة والعادات الاجتماعية والعلاقات الإنسانية في الأماكن التي يزورونها. وفقا لمفهوم برات، تُفهم منطقة الاتصال على أنها مساحة اجتماعية تلتقي فيها الثقافات المختلفة واجهت بعضها البعض وتتفاوض على المعنى (برات، ١٩٩٢، ص. ٣٤). لذلك، يمكن تفسير تجارب الشخصيات أثناء الاستمتاع بالطعام في بورصة وفارنا والكويت على أنها لقاءات ثقافية، حيث أنه من خلال الطعام تتواصل الشخصيات بشكل مباشر مع أسلوب حياة المجتمعات المحلية.

الجدول٤,٢: بيانات منطقة الاتصال من خلال الطعام وطرائق تناوله

الرقم	الرمز	الاقتباس	الصفحة	المكان	العنصر الثقافي	السياق
١	CZ 2-01	بعد تناول وجبة المشويات عرفت لماذا كان اللحم جيداً والألبان طازجة. فالسبب وجود هذه المراعي الطبيعية على الجبال والمرتفعات التي يشد عليها الحيوان حياة طبيعية لا مجال فيها للتلوث (Shabloul, 2006, p. 31)	٣١	بورصة	طريقة تناول الطعام في جبال بورصة: شواء اللحم مباشرة أمام الزبائن، وارتباط جودة الطعام بالمراعي الطبيعية	منطقة اتصال غذائية-بيئية: يواجه السارد نظاماً غذائياً طبيعياً جبلياً يختلف عن النمط الحضري الصناعي، مما يدفعه إلى إعادة تفسير جودة الطعام من خلال البيئة

٢	CZ2-02	في الطريق إلى نيسبار تناولنا غداءً ريفياً ملوناً من: شربة فاصولياء، ولحم دجاج، وأرز، وسلطة خضراء بالبطاطس والبصل، ومشروبات غازية (Shabloul, 2006, p. 44)	٤٤	فارنا	وجبة رالغداء بلغارية: حساء فاصوليا، دجاج، أرز، وسلطة	منطقة اتصال غذائية عابرة للثقافات: التقاء عناصر مألوفة (الأرز والدجاج) مع سياق ثقافي غير إسلامي، مما يخلق توازناً بين الألفة والاختلاف
٣	CZ2-03	أصروا على إقامة مأدبة غداء بملدية يتوسطها الخمبري (الروفيدان) وأرز الصدادية وأطباق أخرى من الأسماك (Shabloul, 2006, p. 68)	٦٨	الكويت	مأدبة كويتية: أطباق بحرية وأرز تقليدي في سياق اجتماعي احتفالي	منطقة اتصال غذائية–دياسبورا: اعتماد الجالية المصرية على طعام البلد المضيف يعكس عملية تثاقف نشطة

منطقة الاتصال في إطار برات هي مساحة اجتماعية تلتقي فيها الثقافات المختلفة في علاقات غالبا ما تكون غير متكافئة (برات، ١٩٩٢). وفي هذا القسم الفرعي، يتم تشكيل هذه المساحة من خلال الطعام وطرق تناول الطعام. الطعام في رواية من إسطنبول إلى قرطبة ليس موجودًا كطبق للاستهلاك فحسب، بل أيضا كوسيلة تربط بطل الرواية بالأنظمة الغذائية والعادات الاجتماعية وعمليات الاستيعاب الثقافي في الأماكن التي يزورها. أوضحت الإدخالات الثلاثة في الجدول ٤,٢ ثلاثة أشكال متميزة

من اللقاء: لقاء الشخصية مع النظام الغذائي المحلي في تركيا، ومع المطبخ الريفي البلغاري متعدد الأديان، ومع الطعام الكويتي الذي يتبناه مجتمع الشتات المصري. على الرغم من اختلاف أشكالها، إلا أن الثلاثة تثبت أن شكّل الطعام مساحة التقت فيها الثقافات، ويتم تفسيرها، وفي بعض الأحيان تسيطر عليها أطراف معينة.

أوضحت البيانات CZ2-01 تجربة بطل الرواية أثناء استمتاعه بالطعام المشوي في منطقة بورصة الجبلية. بعد تناول الطعام، فهم بطل الرواية سبب مذاق اللحم الجيد وطعم الحليب الطازج، ثم ربط تلك الصفات بالحياة الطبيعية للحيوانات في المراعي الجبلية التي اعتبروها بعيدة كل البعد عن التلوث. كشفت هذه البيانات عن منطقة اتصال في طبقتين. في الطبقة الأولى، حدث لقاء بين الشخص والنظام الغذائي التركي المحلي، والذي يختلف عن عاداته كمستهلك حضري. يعد الغذاء بمثابة نقطة دخول للموضوع لفهم أسلوب حياة مجتمع جبل بورصة، بما في ذلك العلاقة بين البيئة الطبيعية والثروة الحيوانية وجودة الغذاء. ولكن في الطبقة الثانية الأكثر انتقادا، هناك حركة خطابية تستحق الاهتمام.

لقد وجد أن بطل الرواية لا يراقب النظام الغذائي التركي فحسب؛ إنه يجعل الأمر مثاليًا من خلال وضع الطعام الجبلي التركي على أنه ''طبيعي'' وخالي من التلوث، كما لو كان مختلفًا جوهريا عن الطعام الذي يستهلكه عادة. في دراسات كتابة الرحلات، يعرف هذا النوع من الديناميكية بأنه شكل من أشكال ''الآخر''، أي عندما يضع الراوي الثقافة التي يواجهها على أنها مختلفة أو نقية أو أكثر ''أصالة'' مقارنة بثقافته الخاصة (تومسون، ٢٠١١، ص. ١٠). يذكرنا برات أنه داخل منطقة الاتصال، فإن الطريقة التي فسّر بها الغرباء الثقافات التي يواجهونها ليست محايدة تمامًا أبدًا، حيث ت شكّلت هذه التفسيرات دائمًا من خلال موقع المترجم وخلفيته ومنظوره (برات، ١٩٩٢، ص. ٣٧). وهكذا، كشفت البيانات من CZ2-01 عن منطقة اتصال بين الطهي والبيئة تتميز بعلاقات القوة التفسيرية: فالشخصية، كمراقب خارجي، تمتلك

السلطة لتفسير النظام الغذائي في تركيا، وبذلك تضع الثقافة المحلية في إطار من المثالية التي شكّلتها وجهة نظرها الخاصة.

البيانات CZ2-02 منطقة اتصال شكّلت ت في منطقة ذات هوية أكثر تعقيدا. تجربة الشخص في الاستمتاع بوجبة غداء ريفية في طريقه إلى نيسبار، بلغاريا. تتكون الوجبة من حساء الفاصوليا والدجاج والأرز وسلطة خضراء مع البطاطس والبصل ومشروب غازي. هذه البيانات هي الأكثر تعقيدا من الناحية السياقية في الجدول ٤,٢، على الرغم من أنها تبدو الأبسط من الناحية الوصفية. بلغاريا دولة ذات أغلبية غير مسلمة في منطقة البلقان؛ وبالتالي، فإن لقاء الطهي في هذه البيانات لا يتجاوز الاختلافات في الذوق أو عادات الأكل فحسب، بل يتجاوز أيضا حدود الهوية الدينية والعرقية. وجد بطل الرواية، وهو مسلم عربي في رحلة، نفسه يستمتع بطبق ريفي بلغاري لا ينبع من تقاليد الطهي الإسلامية.

يوضح الوضع الملحوظ أن منطقة الاتصال لا تولد التوتر دائما ولكنها يمكن أن تؤدي أيضا إلى قبول جزئي، خاصة عند وجود عناصر يمكن التعرف عليها، مثل الأرز والدجاج، وهي مألوفة أيضا في تقاليد الطهي العربية. وفي إطار برات، يمثل هذا منطقة اتصال أكثر تعقيدًا مقارنة بالبيانات السابقة، حيث أن الاختلافات التي تم التفاوض عليها ليست إقليمية فحسب، بل تتعلق أيضا بالهوية الدينية. ويشكل هذا الوضع منطقة اتصال بين الثقافات تنطوي على اختلافات ليس فقط جغرافيا ولكن أيضا من حيث الهوية الثقافية (برات، ١٩٩٢). ومن المثير للاهتمام أن المشاركين لم يستجيبوا لهذه الاختلافات بالرفض ولكن من خلال المشاركة المباشرة في ممارسات تناول الطعام المحلية، مما يدل على أن مساحة اللقاء هذه ديناميكية ومثمرة. ينشأ التقارب الثقافي من خلال المكونات الغذائية المألوفة، في حين تظل الاختلافات موجودة في سياق العرض والخلفية الثقافية المحيطة. وبالتالي، تمثل بيانات CZ2-02 منطقة اتصال طهي عبر الحدود، حيث

يكون الطعام بمثابة وسيلة للتفاوض على الهوية بين بطل الرواية العربي المسلم وثقافة تناول الطعام لمجتمع البلقان غير المسلم.

صوّرت البيانات CZ2-03 عشاء وداع استضافه أصدقاء الشخصية المصريون في الكويت. وكانت الأطباق المقدمة من التخصصات الكويتية، وهي الخمباري أو الرويدهان، وأرز الشادية، وأطباق السمك المختلفة. المهم هنا ليس فقط ما تم تناوله، بل من قدمه وفي أي سياق: فقد استضاف المغتربون المصريون إخوانهم العرب بالطعام الكويتي، وليس الطعام المصري.

أوضحت هذه البيانات منطقة الاتصال الأكثر تعقيدا في الجدول ٤,٢ لأنها تنطوي على عملية يطلق عليها برات '' التثاقف'' الطريقة التي تختار بها المجموعة عناصر ثقافة أخرى وتستوعبها وتتكيف معها وفقًا لاحتياجاتها وظروفها (برات، ٢٠٠٨، ص. ٣٦). هذه العملية ليست واضحة. إن جالية الشتات المصري في الكويت لا ''توافق'' فقط على استهلاك الطعام الكويتي بدافع الضرورة أو بسبب عدم توفر الطعام المصري. وبدلاً من ذلك، فإنهم يختارون بنشاط الطعام الكويتي كطبق للمناسبة الأكثر أهمية اجتماعياً: وليمة الوداع. وهذا يعني أن الغذاء الكويتي قد تم دمجه في نظام القيم والممارسات الاجتماعية للمجتمع إلى الحد الذي أصبحت فيه الحدود بين ''الغذاء المضيف'' و ''غذاء مجتمع المهاجرين'' غير واضحة. وهكذا، يوضح CZ2-03 منطقة اتصال بين المطبخ والشتات حيث عملت عملية التثاقف كشكل من أشكال التفاوض النشط، وليس مجرد الاستيعاب السلبي.

و توافقت هذه النتائج مع الدراسات السابقة التي تنظر إلى الطعام باعتباره وسيلة للقاءات الثقافية في كتابة الرحلات. أولاً، يوضح بحث فان دير مير (٢٠٢٤) أن الممارسات السياحية تخلق مساحات للتفاعل من خلال التجارب المادية، بما في ذلك الاستهلاك الذي ربط الزوار بالأنظمة المحلية. يتماشى هذا مع CZ2-01، حيث تفهم الشخصيات جودة الطعام من خلال الأنظمة البيئية لجبال بورصة. ثانيًا، يؤكد بحث

إيجرتر (٢٠٢٥) أن مساحات الاستهلاك (بما في ذلك إعدادات الطهي) شكّلت تجارب متعددة الثقافات تمزج بين الوظائف الاجتماعية والتمثيل؛ وهذا يتماشى مع CZ2-02، حيث يجمع غداء القرية البلغارية بين العناصر المألوفة (الأرز/الدجاج) وسياق ثقافي مختلف. ثالثًا، أكّد البحث الذي أجراه دين كاريوكي وجويدو فان ميرسبيرجن (٢٠٢٤) على الوكالة المحلية والتفاوض الثقافي ضمن الحراك العالمي؛ ويتجلى ذلك في CZ2-03، حيث يتبنى مجتمع الشتات المصري في الكويت مطبخ المضيف كممارسة اجتماعية لهم.

ومع ذلك، هناك اختلافات عن الدراسات الأخرى التي ركّزت على جوانب متميزة. ركّزت الدراسة التي أجراها بريا وحميد (٢٠٢٥) بشكل أكبر على التقاليد الشفهية كوسيلة لنقل الثقافة، في حين تسلط هذا البحث الضوء على الطعام كوسيلة ملموسة للقاء الثقافي. بالإضافة إلى ذلك، ركّزت الدراسة التي أجرتها نادية تشيلوينا (٢٠٢٥) على انعكاس هوية الشخصية، في حين تسلط هذا البحث الضوء على آليات التفاعل الثقافي من خلال ممارسات الأكل. وتؤكد الدراسة التي أجراها أوتامي وبريماداني (٢٠٢٤) على العلاقات بين الشرق والغرب، في حين يوضح هذا القسم الفرعي أن مناطق الاتصال حدثت أيضا في المطبخ عبر الإقليمي (تركيا – البلقان – الخليج) دون أن تقع بالضرورة داخل هذا التعارض الثنائي. وبالتالي، عملت هذا البحث على توسيع نطاق تحليل مناطق الاتصال من خلال وضع ممارسات الغذاء والأكل كمساحات للتفاوض الثقافي تتضمن المثالية، والاتصال الجزئي، و التثاقف داخل سياق الشتات.

شكّلت ممارسات الغذاء والأكل في رواية من إسطنبول إلى قرطبة مناطق اتصال في ثلاثة أشكال متكاملة. في CZ2-01، ظهرت منطقة الاتصال من خلال لقاء مع النظام الغذائي الجبلي التركي، مصحوبا بعملية مثالية من منظور الشخصية كمراقب خارجي. في CZ2-02، تجلّت منطقة الاتصال من خلال المطبخ الريفي البلغاري، الذي يجمع بين الطابع العربي الإسلامي وثقافة تناول الطعام لمجتمعات البلقان غير المسلمة في التفاوض بين الألفة والغرابة. في CZ2-03، تجلّت منطقة الاتصال من خلال مأدبة كويتية

استضافتها جالية الشتات المصري كدليل على التحول الثقافي النشط والإبداعي. وهكذا فإن الطعام في هذه الرواية ليس مجرد خلفية للرحلة، بل يعمل كمساحة تلتقي فيها الثقافات، ويتم تفسيرها، والتفاوض عليها. يتماشى هذا مع جوهر نظرية برات لأن منطقة الاتصال ما حدثت فقط من خلال الصراع أو الحوار الصريح، ولكن أيضا من خلال الممارسات اليومية مثل تناول الطعام بما في ذلك كيفية تفسير المرء لطعام الآخر، وكيف يقبله، وكيف يستخدمه كجزء من هويته الاجتماعية.

٣. منطقة الاتصال من خلال الملابس والمظهر الجسدي

شكّلت الملابس والمظهر الجسدي شكلا من أشكال منطقة الاتصال في رواية من إسطنبول إلى قرطبة؛ فهي ما عملت بوصفها غطاء للجسد فحسب، بل عملت أيضا بوصفها من أبرز العلامات الثقافية التي يسهل قراءتها في الفضاء العام. ومن خلال الملابس، واجهت الشخصيات قوانين الدولة، والأعراف الاجتماعية، ونظرات المجتمع، واختلاف المعاني الرمزية للإسلام من مكان إلى آخر. ومن ثم، أصبحت الملابس والجسد ساحة واضحة لرصد اللقاءات الثقافية وفي إطار نظرية ماري لويز برات، تُعرَّف منطقة الاتصال بأنها فضاء اجتماعي تلتقي فيه الثقافات المختلفة، وتتصادم، وتتفاعل فيما بينها، وذلك غالبًا ضمن علاقات لا تكون متكافئة تمامًا (برات، ٢٠٠٨، ص. ٧—٨). ويظل هذا المفهوم ذا صلة خارج سياق الاستعمار الكلاسيكي، إذ يمكن فهم منطقة الاتصال بوصفها فضاء معيشا ت واجهت فيه القيم، والهويات، والرموز الثقافية، وتُنتج تحولات في المعنى (كيم، ٢٠٢٤).

الجدول ٤,٣: بيانات منطقة الاتصال من خلال اللباس ومظهر الجسد

الرقم	الرمز	الاقتباس	الصفحة	المكان	العنصر الثقافي	السياق
١	CZ3-01	ألغى الخلافة الإسلامية عام ١٩٢٤ وفصل بين	٢٧	إسطنبول	سياسات اللباس في تركيا بعد إلغاء الخلافة ومنع الرموز	منطقة اتصال تاريخية–سياسية: تتحول الملابس إلى

		الدولة والدين، وألغى... ارتداء الطربوش والعمامة، وارتداء الحجاب (Shabloul, 2006, p. 27)			الإسلامية	ساحة صراع بين الهوية الإسلامية وسياسات الدولة العلمانية
٢	CZ3-02	كانت هناك امرأة منقبة تسكن مع عائلتها في الفندق نفسه، كانت محط أنظار جميع النساء والرجال والأطفال... نظراتهم كانت تحمل بين الاستهزاء والدهشة والغضب (Shabloul, 2006, p. 36)	٣٦	فارنا	النقاب في فضاء أوروبي يثير ردود فعل بين السخرية والدهشة والغضب	منطقة اتصال جسدية: يصبح جسد المرأة موقعاً للتوتر الثقافي من خلال نظرات المجتمع المختلفة
٣	CZ3-03	فوجئت حقيقة بوجود المرأة أو الفتاة الإماراتية تعمل في أجهزة المطار مثلها مثل الرجل في البلدان	٦١-٦٢	دبي	المرأة الإماراتية العاملة في الفضاء العام مع الحفاظ على الزي التقليدي	منطقة اتصال جندرية: إعادة تعريف دور المرأة المسلمة في المجال العام رغم الحفاظ على اللباس

		التي خرجت فيها المرأة لميدان العمل. أيضا لاحظت أن المرأة الإماراتية تقود سيارتها بنفسها (Shabloul, 2006, pp. 61–62)				الإسلامي

منطقة الاتصال، كما تحددها برات، هي فضاء اجتماعي تلتقي فيه الثقافات المختلفة، وت واجهت ، وغالبًا ما تكون في علاقات غير متكافئة تمامًا (برات، ١٩٩٢، ص. ٣٤). وفي هذا القسم، ما ظهرت منطقة الاتصال من خلال الطعام أو اللغة، بل من خلال الملابس، والجسد، والمظهر في الفضاء العام. لا تحضر الملابس والجسد في رواية ''من إسطنبول إلى قرطبة'' بوصفهما جزءًا من سرد الرحلة فحسب، بل يعملان أيضا بوصفهما علامات ثقافية يمكن للشخصيات قراءتها، وتقييمها، ومقارنتها. وأوضحت البيانات الثلاث الواردة في الجدول ٤,٣ أن الملابس والجسد يمثلان موضعا ظهرت فيه الاختلافات الثقافية. أظهرت البيانات CZ3-01 الملابس بوصفها رمزا دينيا مرتبطًا بالتاريخ السياسي لتركيا أبرزت البيانات CZ3-02 النقاب بوصفه علامة بصرية تستدعي نظرات المجتمع البلغاري. وفي الوقت نفسه، أوضحت البيانات CZ3-03 دهشة الشخصية عند رؤية النساء الإماراتيات حاضرات بنشاط في أماكن العمل العامة.

أشارت البيانات CZ3-01 إلى أن البطل ربط الملابس بالتاريخ السياسي لتركيا. ففي الاقتباس، يذكر البطل إلغاء الخلافة الإسلامية عام ١٩٢٤، والفصل بين الدولة والدين، وإلغاء أو تقييد استخدام بعض رموز اللباس، مثل الطربوش، والعمامة، والحجاب. وهذا يدل على أن الملابس لا تُفهم بوصفها مجرد مسألة خاصة، بل بوصفها أيضا جزءا من التغيرات السياسية والاجتماعية التي حدثت في تركيا أشارت هذه البيانات

إلى منطقة اتصال ذات طابع تاريخي سياسي. فالبطل، بوصفه مسلما عربيا، يواجه التجربة التركية التي تمتلك تاريخا مختلفا في تنظيم العلاقة بين الدين، والدولة، والفضاء العام. و غدت الملابس الإسلامية في هذا السياق علامة ثقافية لا تقف بمعزل عن غيرها، إذ يتشكل معناها من خلال سياسات الدولة وتاريخ التحديث في تركيا.

وهكذا فإن أجساد الناس وملابسهم لا تحمل هوية دينية فحسب، بل تحمل أيضا آثار القوة السياسية التي كانت تنظم هذه الرموز في السابق. وفي إطار نظرية برات، يمكن قراءة هذه البيانات بوصفها منطقة اتصال، لأن البطل يواجه نموذجًا للثقافة الإسلامية يختلف عن خلفيته الخاصة؛ أوضحت هذه الحالة تقاطع الهوية الدينية وسلطة الدولة (برات، ١٩٩٢). ولا يحدث هذا اللقاء من خلال محادثة مباشرة، بل من خلال قراءة البطل لتاريخ الملابس ورمزيتها في تركيا. و تجلّت علاقات القوة في هذه البيانات من خلال قدرة الدولة على تحديد الرموز الدينية التي يمكن أن ظهرت في الفضاء العام أو تُقيَّد فيه لذلك، أوضحت البياناتCZ3-01 أن الملابس يمكن أن تكون نقطة التقاء بين الهوية الدينية، وسلطة الدولة، وطريقة البطل في فهم المجتمع الذي يزوره.

ظهرت منطقة الاتصال في البيانات CZ3-02 من خلال النظرة الاجتماعية الموجَّهة إلى الجسد إن النقاب الذي ترتديه المرأة يجعل جسدها علامة ثقافية شديدة البروز في الفضاء العام البلغاري. و أصبحت هذه المرأة مركز اهتمام كثير من الناس، من النساء والرجال والأطفال على حد سواء. وتوصف نظراتهم بأنها تحمل السخرية والدهشة والغضب. وتُعدّ هذه البيانات من أقوى البيانات، لأن الاختلافات الثقافية ظهرت مباشرة من خلال الملابس والجسد. وهنا، لا تحتاج المرأة المنتقبة إلى الكلام أو القيام بأفعال محددة لكي تبدو مختلفة. فمجرد حضورها يكفي لإثارة ردود فعل اجتماعية من المجتمع المحيط بها.

يوضح هذا الوضع وجود مواجهة بين طريقتين مختلفتين في النظر إلى جسد المرأة داخل الفضاء الاجتماعي نفسه: بين فهم النقاب بوصفه هوية دينية ورمزًا للحياء، وبين

نظرة المجتمع المحيط الذي يراه شيئا غريبا. وتوضع المرأة المنتقبة في موقع الطرف الذي ينظر إليه ويحكم عليه، من دون أن تُمنح مساحة للتعبير عن وجهة نظرها الخاصة، مما يجعل جسدها موضوعًا للتأويل الاجتماعي. و توافقت هذه البيانات مع مفهوم منطقة الاتصال عند ماري لويز برات (٢٠٠٨)، الذي أكّد أن فضاءات اللقاء الثقافي غالبا ما تتشكل من خلال علاقات القوة، حيث يمكن للجسد أن يعمل بوصفه نصا ثقافيا قرأ ويُحكَم عليه من قبل الآخرين.

عن دهشة البطل عندما يرى نساء إماراتيات يعملن في المطار إلى جانب الرجال ويقدن السيارات بأنفسهن. والجزء الأساسي في هذا الاقتباس هو كلمة فوجئت أو عبارة لقد فوجئت حقًا، إذ أشارت هذه الكلمة إلى أن البطل كان حمل تصورات أو افتراضات مسبقة قبل أن يشاهد الواقع الاجتماعي في دبي. ولا تُعدّ هذه البيانات بقوة البيانات CZ3-01و CZ3-02 إذا قرئت بوصفها بيانات تتعلق بالملابس فقط. ومع ذلك، فإنها تظل ذات صلة في هذا القسم الفرعي إذا فهمت بوصفها منطقة اتصال من خلال جسد المرأة ووجودها في الفضاء العام لا يكتفي البطل بملاحظة الملابس فحسب، بل لاحظ أيضا كيف تحضر المرأة الإماراتية المسلمة في فضاء العمل، وتؤدي أدوارًا مهنية، وتمتلك قدرة على الحراك الاجتماعي. و أصبح عمل النساء في المطار وقيادتهن السيارات بأنفسهن علامة على أن الهوية الإسلامية ووجود المرأة في الفضاء العام يمكن أن يتعايشا.

ومن ثم، فإن لقاء البطل بدبي يفتح أفقا جديدا لفهم المرأة المسلمة، ولا سيما في سياق المجتمع الخليجي. وعند ربط هذا الحدث بنظرية برات، فإنه يوضح منطقة الاتصال بوصفها عملية تغيّر في وجهة النظر. ويخضع البطل لتفاوض حول المعنى المتعلق بهوية المرأة المسلمة، بحيث ما حدثت منطقة الاتصال خارجيا فحسب، بل حدثت أيضا داخل منظور البطل نفسه (برات، ٢٠٠٨). لاحظ البطل شيئًا مختلفًا عن افتراضاته الأولية، ومن ثم تغيّرت نظرته إلى المرأة المسلمة في الفضاء العام. وفي هذه الحالة، عملت أجساد النساء الإماراتيات في فضاء العمل بوصفها علامات ثقافية تدفع البطل إلى

إعادة النظر في افتراضاته الأولية. لذلك، من الأنسب قراءة هذه البيانات بوصفها منطقة اتصال تتوسطها الجسد، والجندر، والفضاء العام، لا الملابس وحدها.

و توافقت هذه البيانات مع الدراسات التي تضع الجسد والمظهر بوصفهما عنصرين مهمين في اللقاءات الثقافية. أشارت دراسة كلارك (٢٠١٨) إلى أن أدب الرحلات غالبًا ما يضع الجسد بوصفه موضوعًا تمثيليًا يعكس علاقات القوة .ويتجلى ذلك في CZ3-02، حيث أصبح جسد المرأة المنتقبة موضوعا للنظرة الاجتماعية. بالإضافة إلى ذلك، تؤكد دراسة كاثرين هول (١٩٩٣) أن الهوية الثقافية تتشكل من خلال العلاقات التاريخية وعلاقات القوة، وهو ما يتماشى مع البياناتCZ3-01، حيث تتأثر الملابس بسياسات الدولة. ويتجلى تشابه آخر في دراسة شورش (٢٠١٥)، التي أوضحت أن مناطق الاتصال تنطوي على تجارب جسدية وتفاعلات اجتماعية واقعية، كما يظهر في البيانات CZ3-03 عندما يمرّ البطل بتحول في نظرته إلى المرأة في الفضاء العام.

ومع ذلك، توجد اختلافات بين هذا البحث والدراسات الأخرى التي لها مواضع تركيز مختلفة. ركّزت دراسة ستيفانوفيتش ولوبيتشيتش (٢٠٢٣) بدرجة أكبر على الفضاءات الطبيعية بوصفها مناطق اتصال، في حين تسلط هذا البحث الضوء على الجسد والملابس بوصفهما الساحتين الأساسيتين. بالإضافة إلى ذلك، ركّزت دراسة بريا وحميد (٢٠٢٥) على انتقال الثقافة من خلال السرد والتقاليد الشفهية، في حين أوضحت هذا البحث أن المعنى الثقافي يتشكل أيضا من خلال المظاهر البصرية في الفضاء العام. وبذلك، تسهم هذا البحث في توسيع إطار منطقة الاتصال من خلال وضع الملابس والجسد بوصفهما علامتين ثقافيتين فاعلتين في تشكيل اللقاءات الاجتماعية.

شكّلت الملابس والجسد والمظهر في الفضاء العام في رواية من إسطنبول إلى قرطبة منطقة اتصال من خلال ثلاثة أشكال متميزة. ومن ثم، لا يمكن فهم الملابس والجسد في

هذه الرواية بوصفهما عنصرين وصفيين محايدين. فهما يعملان بوصفهما علامتين ثقافيتين تحملان معاني دينية، واجتماعية، وسياسية، وجندرية. من خلال الملابس والجسد، واجهت الشخصيات الطرق المختلفة التي تفهم بها المجتمعات التركية والبلغارية ودبي الرموز الإسلامية والجسد الأنثوي والحدود بينهما

شكّلت الملابس والجسد والمظهر في الأماكن العامة ضمن رواية من إسطنبول إلى قرطبة منطقة اتصال من خلال ثلاثة أشكال متميزة. وبالتالي، لا يمكن فهم الملابس والجسد في هذه الرواية كعناصر وصفية محايدة. كلاهما يعملان كعلامات ثقافية تحمل معاني دينية واجتماعية وسياسية وجنسانية. من خلال الملابس والجسد، واجهت الشخصيات الطرق المختلفة التي تفهم بها المجتمعات التركية والبلغارية ودبي الرموز الإسلامية، والجسد الأنثوي، والحدود بين الأماكن الخاصة والعامة. وهذا يتوافق مع نظرية برات، لأن منطقة الاتصال ما حدثت من خلال المحادثة المباشرة أو الصراع فحسب، بل حدثت أيضا من خلال العلامات المرئية في الحياة اليومية، التي تفسرها المجتمعات المتقابلة بطرق مختلفة.

٤. منطقة الاتصال من خلال اللغة والتواصل

في رواية من إسطنبول إلى قرطبة، لا تُعدّ اللغة والتواصل مجرد أداتين للكلام، بل هما أيضا وسيلتان للبقاء، وتفسير الذات، والدفاع عن الموقف. عندما وجد البطل نفسه في فضاء غريب، فإنه ما امتلك دائمًا لغة مشتركة مع الأشخاص الذين يلتقي بهم. غير أن منطقة الاتصال أصبحت في هذا الموضع أكثر وضوحا :حين يكون المعنى بحاجة إلى تفاوض، ويكون سوء الفهم بحاجة إلى تصحيح، ويكون الظلم بحاجة إلى مقاومة من خلال القول. لذلك، لا تُفهم اللغة في هذا القسم الفرعي فهمًا ضيقًا بوصفها كلمات منطوقة فحسب، بل بوصفها مجمل عملية نقل المعنى، بما في ذلك الإشارات، والأرقام، والأشياء، والتفسيرات، والحجج. ويتماشى ذلك مع مفهوم منطقة الاتصال عند ماري

لويز برات، بوصفها فضاء اجتماعيا تلتقي فيه الثقافات المختلفة، وتتصادم، وتتفاعل فيما بينها ضمن علاقات غير متكافئة في كثير من الأحيان (برات، ٢٠٠٨) وفي سياق التواصل، لا يتجلى هذا اللقاء فيما يُقال فحسب، بل يتجلى أيضا في الطريقة التي يسعى بها الناس إلى أن يكونوا مفهومين. وقد وسّع شورش (٢٠١٥) هذه الفكرة، إذ أكد أن منطقة الاتصال ينبغي أن تُفهم بوصفها تجربة حقيقية تعاش، ويُتفاوض عليها، ويُتنازع حولها من خلال التفسير، والترجمة، والحوار. يعد طومسون (٢٠١١) مهمًا هنا أيضا لأنه أكّد أن كتابة الرحلات تسجل بشكل أساسي التفاوض بين الذات والآخر، بما في ذلك عندما تتم تلك المفاوضات في شكل اتصال معوق أو غير مباشر.

الجدول ٤,٤: بيانات منطقة الاتصال من خلال اللغة والتواصل

الرقم	الرمز	الاقتباس	الصفحة	المكان	العنصر الثقافي	السياق
١	CZ4-01	كان التفاهم معهم بعد لغة الإشارة عن طريق الآلة الحاسبة أو الورقة الصغيرة البيضاء، يكتبون فيها السعر فنرد عليهم بالطريقة نفسها مقللين من الرقم المكتوب (Shabloul, 2006, p. 27)	٢٧	إسطنبول	التفاوض باستخدام الآلة الحاسبة والورق بدلاً من اللغة	منطقة اتصال لغوية–تجارية: تنشأ وسائل تواصل بديلة نتيجة غياب اللغة المشتركة
٢	CZ4-02	ظنّت إيفا وبَلمينا أن الشيشة التي كان يدخنها	٥٧	تونس	الشيشة كرمز ثقافي عربي يُساء فهمه من قبل الآخر	منطقة اتصال ثقافية: سوء فهم رمز ثقافي يؤدي إلى

		بعضنا بها ممنوعات، فنفينا هذا الظن، فربما أن يعرفاها بديلاً من السجائر عليك (Shabloul, 2006, p. 57)				حوار وتوضيح المعنى
٣	CZ4-03	أراد منظم الطابور أن يُقدِّم هؤلاء الأجانب سمن يخرجها من الطابور وليتقدمون عليّ... فرفضت هذا الأسلوب وقلت لهذا الموظف: إن الأجانب ملتزمون بالطابور ولم يبدوا أي امتعاض (Shabloul, 2006, p. 92)	٩٢	أسوان	رفض التمييز في الطابور بين المحليين والسياح	منطقة اتصال سياسية: اللغة تتحول إلى أداة لمقاومة الظلم وعدم المساواة

أظهرت البيانات من CZ4-01 أن تجربة البطل في التعامل مع تاجر في إسطنبول كشفت أن اختلاف اللغة لم يقطع التواصل بينهما. وقد جرى التواصل من خلال الإشارات، أو الآلة الحاسبة، أو ورقة صغيرة. قام التاجر بتدوين السعر، ورد البطل بكتابة رقم أقل. يوضح هذا القسم أن الحواجز اللغوية لم تقطع العلاقة بين بطل الرواية والتاجر. فعلى الرغم من أنهما لا يستطيعان التواصل شفهيًا بسهولة، فإن عملية المساومة تستمر

بوسائل أخرى و أصبحت الآلة الحاسبة والورقة الصغيرة أداتين بسيطتين وفعالتين للتواصل. وباستخدام هذه الأدوات، يستطيع الطرفان فهم نوايا بعضهما البعض دون الحاجة إلى مشاركة لغة مشتركة. وهنا تحلّت منطقة الاتصال بشكل عملي للغاية. لا تناقش الشخصية الاختلافات الثقافية نظريًا، بل تختبرها بشكل مباشر أثناء إجراء عملية شراء. يعد السوق بمثابة مساحة اجتماع بين مشتري أجنبي وبائع محلي. كلاهما لهما اهتمامات مختلفة: البائع يريد البيع بسعر معين، بينما الشخصية تريد المساومة. وبما أنه لا توجد لغة مشتركة، فإنهما يخلقان وسيلة اتصال مؤقتة يمكن لكليهما استخدامها.

كشفت البيانات أن اللغة داخل منطقة الاتصال لا تتكون دائمًا من الكلمات. يمكن للأرقام وإيماءات اليد والأشياء البسيطة مثل الآلة الحاسبة أن أصبحت لغة مشتركة. وتماشياً مع إطار منطقة الاتصال (برات، ١٩٩٢)، يوضح هذا الوضع أن التواصل لا يعتمد دائماً على اللغة اللفظية. عندما لا تتوفر اللغة، ظهرت''لغات بديلة'' تعتمد على الأرقام والإيماءات نتيجة للمفاوضات العملية بين الطرفين. لا يتم القضاء على الاختلافات، ولكن يتم البحث عن حل وسط لضمان استمرار العلاقة. لذلك لذلك، يمكن قراءة البيانات CZ4-01 بوصفها منطقة اتصال ذات طابع تجاري لغوي، حيث ينشأ الاتصال من احتياجات المعاملات والقيود اللغوية التي يواجهها كلا الطرفين.

البيانات CZ4-02، لا تكمن المشكلة في عجز البطل عن الكلام، بل في سوء فهم الآخرين لشيء ثقافي عربي. تفترض كلٌّ من إيفا وبالمينا أن الشيشة التي يدخنها بعض أفراد رفقة البطل تحتوي على شيء محظور. تم دحض هذا الافتراض لاحقا من قبل الشخصية ومجموعته. هذه البيانات مهمة لأنها أوضحت أن التواصل بين الثقافات لا يعتمد فقط على اللغة ولكن أيضا على كيفية تفسير الرموز الثقافية أما بالنسبة إلى البطل ورفاقه، فتُعدّ الشيشة أمرا مألوفا في العادات الاجتماعية العربية، تعتبر الشيشة شيئًا شائعًا في العادات الاجتماعية العربية. ومع ذلك، بالنسبة لإيفا وبالمينا، فإن هذا الشيء يثير الشكوك. فهما تفسّران الشيشة لا بوصفها عادة اجتماعية، بل بوصفها شيئًا قد يكون

خطيرًا أو محظورا. عند هذه النقطة، يتم تشكيل منطقة اتصال من خلال سوء الفهم. أصبحت الشيشة شيئًا يجمع بين معرفتين ثقافيتين مختلفتين. يفهم أحد الطرفين الشيشة من داخل التقاليد الاجتماعية العربية، بينما يفهمها الطرف الآخر من الخارج، بعين الريبة والمعلومات المحدودة. وهذا الاختلاف في التفسير هو الذي يجعل التواصل ضروريا. لذلك، كان على البطل ورفاقه أن يوضحوا أن الشيشة ليست كما تخيلتها إيفا وبالمينا. هذه البيانات مثيرة للاهتمام أيضا لأن موقف بطل الرواية يتغير.

في العديد من مشاهد السفر، غالبا ما يعمل بطل الرواية كمراقب لثقافة أخرى. ومع ذلك، في هذه البيانات، فإن ثقافة بطل الرواية هي التي يتم ملاحظتها وسوء فهمها. فهو لم يعد مجرد مراقب، بل أصبح أيضا شارحا ومفسرا لثقافته. بمعنى آخر، منطقة الاتصال هنا ثنائية الاتجاه. لا يقوم البطل بتفسير الآخرين فحسب، بل يختبر أيضا كيفية تفسير الآخرين لثقافته. عند قراءته من خلال Pratt، يوضح CZ4-02 أن منطقة الاتصال يمكن أن تنشأ من معاني مختلفة منسوبة إلى نفس الكائن. إن الشيشة كشيء مادي هي في الواقع نفس الشيء، ولكن معناها يتغير عندما فسّر ها أشخاص من خلفيات ثقافية مختلفة. ومن ثم فإن التواصل يعمل على إعادة التفاوض بشأن هذا المعنى. في هذه الحالة، أصبحت اللغة أداة لنقل معنى الشيشة من شيء يُنظر إليه بعين الريبة إلى شيء يمكن فهمه (برات، ٢٠٠٨).

ظهرت بيانات CZ4-03 أن اللغة عملت بوصفها أداة لمقاومة الظلم. حاول الموظف المسؤول عن الطابور إعطاء الأولوية للسياح الأجانب، لكن بطل الرواية رفض هذا النهج. وذكر البطل أن السياح الأجانب كانوا ما يزالون ينتظرون في الطابور ولم يعترضوا. وعلى النقيض من نقطتي البيانات السابقتين، لا تُستخدم اللغة هنا للتفاوض أو شرح المعايير الثقافية، بل لرفض المعاملة غير العادلة. يتحدث بطل الرواية لأنه لاحظ تصرفات تضع السكان المحليين في وضع أدنى مقارنة بالسياح الأجانب. المشكلة لا تكمن في وجود السياح الأجانب، بل في الطريقة التي يمنحهم بها الموظفون معاملة

تفضيلية. وتكتسب هذه البيانات أهميتها لأنها أوضحت أن مناطق الاتصال ما حدثت في الخارج وحده. في أسوان، يتواجد البطل داخل مصر نفسها، ومع ذلك لا يزال يواجه منطقة اتصال لأن الفضاء السياحي يجمع بين السكان المحليين والسياح الأجانب والموظفين المؤسسيين. يؤدي وجود السياح الأجانب إلى تغيير طريقة تعامل الموظفين مع الأشخاص الموجودين في الطابور. يحاول الموظفون إعطاء الأولوية للسياح الأجانب، كما لو أنهم يستحقون الأولوية أكثر من السكان المحليين.

وفي هذه الحالة، أصبحت اللغة أداة لتصحيح علاقات القوة. لا يقف البطل موقفًا سلبيًا تجاه القواعد التي وضعها الموظفون. ويستخدم كلامه لرفض المعاملة التي يراها غير مناسبة. وبالتالي، كشفت هذه البيانات عن منطقة اتصال أكثر سياسية من مجموعتي البيانات السابقتين. عند ربطها بنظرية برات، توافقت البيانات CZ4-03 بشكل مثالي لأنها أوضحت علاقات غير متكافئة داخل منطقة الاتصال. ويشير هذا الوضع إلى وجود منطقة اتصال ذات طابع سياسي (برات، ١٩٩٢). ويتم منح السياح الأجانب مكانة أعلى، في حين يواجه السكان المحليون خطر التهميش من قبل المسؤولين في بلدهم ثم يدخل البطل في هذه العلاقة من خلال اللغة، رافضًا هذا الأسلوب، ومؤكدًا ضرورة تطبيق قواعد الانتظار بعدالة، رافضًا هذا النهج، ومؤكدًا على ضرورة تطبيق قواعد الانتظار بصورة غير متكافئة. وبالتالي، فإن منطقة الاتصال في هذه البيانات لا تتعلق فقط باللقاء بين السكان المحليين والأجانب، ولكن أيضا بكيفية معاملة المؤسسات المحلية لكلا الطرفين بشكل غير متساو.

و توافقت هذه البيانات مع الدراسات التي تنظر إلى التواصل باعتباره عملية تفاوض على المعنى في اللقاءات الثقافية. تؤكد دراسة شورش (٢٠١٥) أن منطقة الاتصال حدثت من خلال عمليات التفسير والترجمة، كما رأينا في CZ4-01 وCZ4-02 عندما يتم التفاوض على المعنى من خلال الأرقام والإيماءات والتفسيرات. بالإضافة إلى ذلك، أشارت أبحاث كلارك (٢٠١٨) إلى أن التفاعلات في كتابة السفر غالبا ما

تنطوي على تباينات في التواصل، كما هو واضح في CZ4-03. ويتجلى تشابه آخر في بحث مالك (٢٠٢٣)، الذي يسلط الضوء على التفاعلات في المساحات السياحية باعتبارها ساحات للتفاوض الاجتماعي.

ومع ذلك، يكمن الاختلاف الرئيسي في حقيقة أن دراسة أيغرتر (٢٠٢٥) أكّد على التواصل في الفضاءات الرقمية، في حين ركّزت هذا البحث على التواصل المباشر في التفاعلات وجها لوجه. علاوة على ذلك، يركز البحث الذي أجراه دين كاريوكي وجويدو فان ميرسبيرجن (٢٠٢٥) على الهياكل العالمية والتاريخية، في حين تسلط هذا البحث الضوء على ممارسات الاتصال اليومية. وهكذا، أوضحت هذا البحث أن اللغة والتواصل في منطقة الاتصال ليسا رمزيين فحسب، بل ذات طابع عملي وسياقي أيضا.

شكّلت اللغة والتواصل في رواية من إسطنبول إلى قرطبة شكلا مهما من أشكال منطقة الاتصال. ظهرت اللغة ليس فقط عندما تتحدث الشخصية إلى الآخرين، ولكن أيضا عندما اضطرّ إلى استخدام الإشارات، والأرقام، والتفسيرات، والحجج. في هذه الحالات الثلاث، ينشأ التواصل دائمًا من احتياجات مختلفة. إن الحاجة إلى المعاملات واضحة في إسطنبول، والحاجة إلى توضيح سوء الفهم واضحة في تونس و ظهرت الحاجة إلى الدفاع عن العدالة في أسوان. وبالتالي، فإن منطقة الاتصال من خلال اللغة والتواصل في هذه الرواية لا يمكن فهمها على أنها مجرد مسألة قدرة لغوية. والأهم من ذلك هو كيف وجد بطل الرواية طرقا للحفاظ على الروابط مع الآخرين، وكيف شرح ثقافته عندما يساء فهمها، وكيف استخدم اللغة لتحدي المواقف غير المتكافئة. ومن خلال اللغة، لا تكون الشخصية مجرد مسافر ينتقل من مدينة إلى أخرى، بل أصبح أيضا فاعلًا ثقافيًا فسّر ، و شرح ، ويتفاوض حول المعنى في كل لقاء ثقافي.

٥. منطقة الاتصال عبر الأماكن المقدسة والتراث الثقافي

يشكّل الفضاء المقدس والتراث الحضاري في رواية من إسطنبول إلى قرطبة ساحةً لمنطقة الاتصال. لا يدخل البطل أماكن جديدة فحسب، بل يدخل فضاءات مشبعة

مسبقًا بطبقات من المعنى: الدين، والسلطة، والفتح، والمتحفة، والحنين، والتحديث. لذلك، لا يُفهم الفضاء في هذا القسم بوصفه خلفية سلبية، بل بوصفه فضاء يتحدث من خلال عمارته، ورموزه، وقواعده، وتاريخه الخاص. أكّد كلارك أن المكان في كثير من كتابات الرحلات ما بعد الاستعمارية لا يظهر بوصفه فضاء محايدا، بل بوصفه موقعا يتراكب فيه الماضي والحاضر، بحيث ما أصبحت الرحلة مجرد حركة عبر الفضاء، بل أصبحت أيضا حركة عبر الزمن والذاكرة (كلارك، ٢٠١٨، ص. ٥٥–٥٦) ومن هذا المنظور، فإن آيا صوفيا، ومسجد قرطبة، والمنطقة القديمة في دبي ليست مجرد وجهات، بل هي نقاط يعيد فيها البطل قراءة العلاقة بين التراث، والسلطة، والهوية.

الجدول ٤,٥: بيانات منطقة الاتصال من خلال الفضاء المقدس والتراث الحضاري

الرقم	الرمز	الاقتباس	الصفحة	المكان	العنصر الثقافي	السياق
١	CZ5-01	يجمع المكان الآن بين صور ولوحات من الفسيفساء للسيد المسيح والسيدة مريم، وآيات قرآنية منقوشة على الجدران، ولوحات كبيرة معلقة تحمل اسم الله ومحمد (Shabloul, 2006, p. 24)	٢٤	إسطنبول	آيا صوفيا تجمع بين الرموز المسيحية والإسلامية	منطقة اتصال معمارية–رمزية: اجتماع رموز حضارتين داخل فضاء واحد
٢	CZ5-02	أصابني الحزن والهم عندما دخلت جامع قرطبة بعد	٤٨–٤٩	قرطبة	مسجد قرطبة كموقع صراع ديني وتاريخي	منطقة اتصال دينية–استعمارية: هيمنة ثقافية ظهرت

		أداء رسوم الدخول المقررة وقدرها ثلاثة يورو، فقد منعت إقامة الشعائر الإسلامية داخل المسجد، بينما وجدت كاتدرائية كاملة بالداخل يصلي بها بعض المسيحيين (Shabloul, 2006, pp. 48–49)				من خلال منع شعائر وإتاحة أخرى
٣	CZ5-03	رغبت من بلال الذهاب للأحياء الشعبية أو الأحياء القديمة في دبي لأشم عبق الماضي العريق وأتنفس رائحة الأجداد على خليج اللؤلؤ وتراث ما قبل النفط. فكانت زيارتنا لبيت التراث والمدرسة الأحمدية (Shabloul, 2006, p. 64).	٦٤	دبي	دبي القديمة مقابل دبي الحديثة	منطقة اتصال زمنية: التقاء الماضي بالحاضر داخل فضاء المدينة

أظهرت البيانات CZ5-01 أن آيا صوفيا عملت كمساحة تحتوي على طبقتين من الحضارة في وقت واحد. وفي مبنى واحد، لاحظ الراوي الفسيفساء المرتبطة بالتقاليد المسيحية، مثل صور يسوع ومريم، إلى جانب الآيات القرآنية والخط الذي حمل اسمي الله ومحمد. إن وجود هذه الرموز يجعل آيا صوفيا ما ظهرت بوصفها فضاءً واحد الدلالة، بل بوصفها فضاءً يحفظ آثار تاريخ ديني متعدّد. أشارت هذه البيانات إلى أن منطقة الاتصال لا تنشأ دائمًا من خلال التفاعل البشري المباشر. في آيا صوفيا، تجلّت منطقة الاتصال من خلال العمارة، والصور، والنصوص، والرموز التي تتعايش داخل فضاء واحد.

ويبدو أن الراوي يواجه تاريخا طويلا كان ملتصقا بذلك المكان. ما عملت الرموز المسيحية والإسلامية كعناصر زخرفية فحسب، بل بوصفها علامات على أن هذا الفضاء قد امتلكته حضارات مختلفة، ومنحته معاني متعددة، واستخدمته بطرق مختلفة. في إطار ماري لويز برات، يمكن قراءة آيا صوفيا كمنطقة اتصال لأنها تجسد لقاء بين الثقافات ليس محايدًا تمامًا. ورغم أن الرموز المسيحية والإسلامية ظهرت جنبا إلى جنب، فإن هذا التجاور حمل آثار التحولات التاريخية في وظيفة الفضاء. رأى الراوي الموقع ليس فقط على أنه جميل من الناحية المعمارية ولكن أيضا غنيا بالمعنى الديني والحضاري. وهكذا ظهرت منطقة الاتصال في هذه البيانات من خلال مساحة معمارية تحافظ على اللقاء بين التاريخ المسيحي البيزنطي والإسلام العثماني. والأهم من ذلك، أن الراوي لا يسجل ما رأى فحسب، بل فسّر هذه الرموز على أنها آثار تاريخية متعددة الطبقات، مما يجعل آيا صوفيا مساحة ''تتحدث'' من خلال علاماتها (برات، ٢٠٠٨).

قدّمت البيانات CZ5-02 منطقة الاتصال بصورة أكثر وضوحا وتأثيرا عاطفيا من خلال تجربة الراوي في مسجد قرطبة. وعلى النقيض من آيا صوفيا، حيث يتعايش رمزان دينيان، كشفت قرطبة عن تفاوت أكثر وضوحا. شعر الراوي بالحزن والانزعاج عند اضطراره إلى دفع رسوم الدخول لدخول مكان يعرفه بالمسجد، إذ تمنع العبادة الإسلامية

في داخله، في حين تستمر الشعائر المسيحية. تعد هذه البيانات من بين الأقوى في هذا القسم الفرعي لأن منطقة الاتصال يتم التعبير عنها من خلال التجربة العاطفية. إن حزن الراوي لا ينبع فقط من مشاهدة مبنى تاريخي، بل أيضا من الفجوة بين الذاكرة التاريخية الإسلامية والأنظمة الحالية التي تحكم الفضاء. بالنسبة للراوي، فإن قرطبة ليست مجرد معلم سياحي؛ بل هي مرتبطة بتاريخ الإسلام في الأندلس. إلا أنه عند دخوله وجد أن الممارسات الإسلامية مستبعدة. إن الفضاء المرتبط تاريخيا أصبح الآن خاضعا لنظام آخر في إدارته وتنظيمه، يضع الراوي في موقع ''الزائر'' في فضاء يعتبره جزءاً من هويته التاريخية.

أوضحت هذه البيانات أن المساحات التراثية ليست محايدة ولكنها يمكن أن أصبحت ساحات للتوتر تتعلق بالمعنى والهوية. لا يحضر الراوي بوصفه طرفًا امتلك حقا دينيا في ذلك الفضاء، بل بوصفه زائرا عليه الالتزام بالأنظمة القائمة، بل يجب عليه الالتزام بالأنظمة القائمة، على الرغم من إدراكه للمساحة كجزء من التاريخ الإسلامي. وينشأ هذا التوتر من التفاوت بين الذاكرة التاريخية إدارة الفضاء في الحاضر، التي تفضل تقليدًا آخر. ويتماشى هذا مع مفهوم برات لمنطقة الاتصال، حيث يتم التحكم في الفضاء الإسلامي تاريخيا بواسطة نظام مختلف، مما يضع الراوي كزائر داخلها (برات، ٢٠٠٨).

صوّرت البيانات CZ5-03 الراوي وهو يزور الأحياء القديمة في دبي. إنه لا يرغب في رؤية دبي كمدينة حديثة فحسب، بل يسعى إلى ''الشعور برائحة الماضي'' وتجربة آثار الأجداد في عصر خليج اللؤلؤ وفترة ما قبل النفط. وتمثل زياراته إلى بيت التراث والمدرسة الأحمدية جهوده لاستكشاف الجانب الأكثر تجذرًا وتاريخيًا لدبي. في آيا صوفيا وقرطبة، تنشأ منطقة الاتصال من لقاء تقليدين دينيين داخل مساحة واحدة. أما في دبي، فإن منطقة الاتصال تنشأ من التقاء طبقتين زمنيتين: دبي القديمة ودبي الحديثة.

بحث الراوي بوعي عن الأحياء التقليدية، وكأنه يحاول الموازنة بين صورة دبي الحديثة وذكريات الحياة قبل النفط.

يمكن وصف منطقة الاتصال في هذه الحالة بأنها منطقة اتصال زمنية. ما يتقاطع هنا ليس فقط الثقافات المختلفة، بل أيضا الفترات الزمنية المختلفة داخل نفس المدينة. يرفض الراوي تفسير دبي من خلال حداثتها فقط، و بحث بدلا من ذلك عن التراث الذي شكلها. وفي إطار برات، لا يزال هذا يشكل منطقة اتصال، حيث يواجه الراوي معاني مختلفة داخل مساحة اجتماعية واحدة. دبي هي مدينة معاصرة ومستودع للماضي. وهكذا فإن منطقة الاتصال لا تبدو كصراع مباشر بل كتوتر بين التراث والحداثة (برات، ٢٠٢٢).

وجهة نظر كلارك ذات صلة هنا أيضا، حيث يوضح أن كتابة الرحلات غالبا ما تجمع بين الماضي والحاضر ضمن تجربة مكانية واحدة. في هذه الحالة، لا يتحرك الراوي عبر المكان فحسب، بل عبر طبقات الزمن، باحثًا عن تراث ما قبل النفط داخل مدينة معروفة بهويتها الحديثة.

وتتشابه هذه النتائج مع دراسات سابقة تنظر إلى الفضاء باعتباره ساحة غير محايدة للقاء الثقافي. يوضح فان دير مير (٢٠٢٤) أن المساحات السياحية، خاصة في السياقات الاستعمارية، عملت كمناطق اتصال تولد توترات في المعنى وعلاقات القوة، كما رأينا في آيا صوفيا وقرطبة. ورأى كيم (٢٠٢٤) كذلك أن مناطق الاتصال يمكن أن تتجاوز الحدود المكانية وتتضمن علاقات عبر التاريخ، وهو ما يتماشى مع بيانات دبي حيث يتقاطع الماضي والحاضر. وبالمثل، أكّد دين كاريوكي وجويدو فان ميرسبيرجن (٢٠٢٤) على أهمية تحليل تجارب السفر من خلال علاقات القوة وتحديد موضع الموضوع، كما ينعكس في تجربة الراوي العاطفية في قرطبة.

ومع ذلك، تختلف هذا البحث عن الدراسات الأخرى. يركز ستيفانوفيتش ولوبيتشيتش (٢٠٢٣) على المساحات الطبيعية كمناطق اتصال، بينما يسلط هذا

البحث الضوء على مساحات التراث المقدس والحضاري باعتبارها ساحات لقاء معقدة تاريخيًا. و أكّد بريا وحميد (٢٠٢٥) على التقاليد الشفهية باعتبارها نقلا ثقافيا، في حين ركّزت هذا البحث على المساحات المادية التي تحتوي على الرموز والتاريخ والقوة. وفي الوقت نفسه، ركّزت نادية تشيلوينا (٢٠٢٥) و قطر الندى (٢٠٢٥) بشكل أكبر على انعكاس الهوية، في حين يوضح هذا البحث كيف يشكل الفضاء تجربة منطقة الاتصال بشكل فعال.

شكّلت المساحات المقدسة والتراث الحضاري في من إسطنبول إلى قرطبة مناطق اتصال في ثلاثة أشكال. في CZ5-01، ظهرت منطقة الاتصال عبر آيا صوفيا كمساحة تتعايش فيها الرموز المسيحية والإسلامية. وفي CZ5-02، يظهر ذلك بشكل أكثر وضوحا في مسجد قرطبة، حيث لم تعد مساحة التراث الإسلامي تستوعب العبادة الإسلامية. في CZ5-03، يظهر في دبي القديمة، حيث يلتقي تراث ما قبل النفط بالحداثة الحضرية. وعليه، لا يمكن فهم الفضاء في هذا القسم الفرعي باعتباره مجرد موقع للزيارة. و أصبح جزءا من التجربة الثقافية للراوي، التي تحتوي على التاريخ والقوة والتحول الوظيفي والذاكرة الحضارية. وعليه، لا يمكن فهم الفضاء في هذا القسم الفرعي بوصفه مجرد موقع للزيارة، بل أصبح جزءا من التجربة الثقافية للراوي، لأنه حمل التاريخ، والقوة، والتحول الوظيفي، والذاكرة الحضارية. و أصبح جزءا من التجربة الثقافية للراوي، التي تحتوي على التاريخ والقوة والتحول الوظيفي والذاكرة الحضارية. فمن خلال آيا صوفيا، قرأ الراوي لقاء تقليدين دينيين. ومن خلال قرطبة، شعر بجرح تاريخي واختلال في إدارة الفضاء المقدس. ومن خلال دبي القديمة، بحث عن آثار الماضي داخل ظل الحداثة. وهذا يتوافق مع نظرية برات، التي تؤكد أن مناطق الاتصال ما حدثت بين الناس فحسب، بل أيضا بين الأفراد والمساحات التي تجسد الاختلافات الثقافية والتاريخ وعلاقات القوة.

استنادًا إلى التحليل الذي عُرض في الأقسام الفرعية الخمسة السابقة، استنتجت الباحثة أن رواية من إسطنبول إلى قرطبة لأحمد فاضل شبلول تُقدِّم بصورة متسقة

تفاعلاتٍ ثقافية تُشكِّل ما يُعرف بفضاء الاتصال الثقافي (Contact Zone) كما صاغته ماري لويز برات. إن فضاءات اللقاء الثقافي في هذه الرواية لا تأتي في صورة واحدة أو نمط موحّد، بل تجلّت في أشكال متعددة، تبدأ من الطقوس والممارسات الدينية، والطعام، واللباس، واللغة، وصولا إلى الفضاءات المقدسة وإرث الحضارة، وكلّها ظهرت أن اللقاء بين الثقافات حمل دائمًا أبعادًا من التفاوض على المعنى، وإعادة تموضع الذات، وعلاقات القوة التي عملت بطرائق مختلفة.

في البيانات الأولى، شكّلت فضاء الاتصال الثقافي من خلال الطقوس والممارسات الدينية (الجدول ٤,١). وقد أظهر تحليل البيانات CZ1-01 و CZ1-02وCZ1-03 أن التشابه الديني لا يؤدي بالضرورة إلى تكافؤ المواقع داخل الفضاء الاجتماعي. فمن خلال طريقة دخول المسجد في إسطنبول، واختلاف إيماءات المصافحة بعد الصلاة في بورصة، واحتفال عيد الأضحى العابر للجنسيات في الكويت، يتبيّن أن الإسلام يتجلّى ضمن ممارسات محلية متباينة. فالبطل، بوصفه مسلما عربيا، ظل يواجه أعرافًا محلية كان عليه أن يتكيّف معها. و عملت علاقات القوة في هذا القسم بصورة ضمنية من خلال بروتوكولات العبادة التي يفرضها أهل المكان، والمعايير الجندرية التي تفصل فضاء النساء في الولائم المشتركة. ويُعزّز ذلك طرح برات القائل إن فضاء الاتصال الثقافي لا يظهر دائمًا عبر الصراع المباشر، بل قد يتشكّل من خلال الفروق الصغيرة التي تجعل الفرد يدرك موقعه بوصفه طرفا خارجيا.

وفي البيانات الثانية، شكّلت فضاء الاتصال الثقافي عبر الطعام وطريقة تناوله (الجدول ٤,٢). فقد أظهرت البيانات الثلاث CZ2-01 و CZ2-02 و CZ2-03 أن الطعام يعمل بوصفه وسيطا معقدا للقاء الثقافي. ففي بورصة، لم يكتفِ البطل بتناول الطعام المشوي، بل قام أيضا بإضفاء طابع مثالي على النظام الغذائي الجبلي التركي بوصفه ''طبيعيا'' وخاليا من التلوث، وهو ما يُعرف في دراسات أدب الرحلة بحركة ''تغريب الآخر'' (Othering) وفي بلغاريا، وجد البطل نفسه يستمتع بطعام ريفي

غير مسلم لا يزال حمل عناصر مألوفة مثل الأرز والدجاج، مما جعل فضاء الاتصال الثقافي يتأرجح بين الألفة والغرابة. أما في الكويت، فقد اختارت الجالية المصرية الطعام الكويتي بوصفه وجبة وداع، وهو ما يعكس عملية التثاقف (Transculturation) النشطة كما صاغتها برات. وتثبت هذه البيانات أن الطعام ليس مجرد عنصر مكمّل للرحلة، بل فضاء حقيقي تلتقي فيه الثقافات وتؤوّل وتُعاد صياغة معانيها.

وفي البيانات الثالثة، شكّلت فضاء الاتصال الثقافي عبر اللباس وهيئة الجسد (الجدول ٤,٣). فقد أظهرت البيانات CZ3-01 و CZ3-02 و CZ3-03 أن اللباس والجسد يعملان بوصفهما علامتين ثقافيتين يسهل قراءتهما والحكم عليهما في الفضاء العام. ففي إسطنبول، قرأ البطل سياسات أتاتورك التي منعت الرموز الإسلامية في اللباس بوصفها فضاء اتصال ثقافيا ذا بُعد تاريخي وسياسي، حيث تمتلك الدولة سلطة تحديد الرموز الدينية المسموح بها في المجال العام. وفي فارنا ببلغاريا، أصبح جسد المرأة المنقبة موضوعا لنظرات اجتماعية تحمل السخرية والدهشة والغضب، بحيث عمل فضاء الاتصال الثقافي من خلال الجسد باعتباره ''نصا ثقافيا''. أما في دبي، فإن دهشة البطل من رؤية المرأة الإماراتية مرتدية العباءة وهي عملت وتقود السيارة، كشفت عن فضاء اتصال ثقافي بوصفه عملية تغيّر في منظور البطل نفسه. وبذلك، فإن اللباس والجسد في الرواية لا يمثلان عنصرين وصفيين محايدين، بل ساحة نشطة للقاء بين الهوية الدينية وسلطة الدولة والمعايير الجندرية.

وفي البيانات الرابعة، شكّلت فضاء الاتصال الثقافي عبر اللغة والتواصل (الجدول ٤,٤). وقد أثبتت البيانات CZ4-01 و CZ4-02 و CZ4-03 أن اللغة في فضاء الاتصال الثقافي لا تقتصر على الكلمات المنطوقة، بل تشمل كل عمليات نقل المعنى، بما في ذلك الإشارات، والأرقام، والأشياء، والشرح، والحجاج. ففي إسطنبول، أدّت محدودية اللغة إلى نشوء ''لغة ثالثة'' قائمة على الآلة الحاسبة والأرقام، مما أتاح استمرار التبادل التجاري، وهو ما شكّل فضاء اتصال ثقافيًا تجاريًا–لغويا. وفي تونس، أسيء فهم الشيشة

بوصفها عنصرا من عناصر الثقافة العربية من قبل بعض الصديقات الأوروبيات، فتحوّل البطل من مراقب إلى شارح لثقافته الخاصة، مما يدل على أن فضاء الاتصال الثقافي قد يكون متبادل الاتجاهات. أما في أسوان، فقد استخدم البطل اللغة أداة للمقاومة ضد الظلم حين حاول أحد الموظفين تقديم السائحين الأجانب في الطابور، وهو ما يظهر أكثر أشكال فضاء الاتصال الثقافي طابعا سياسيا في الرواية. وأكّدت هذه البيانات أن اللغة تجعل البطل ليس مجرد رحالة سلبي، بل ذاتًا فاعلة تفسّر وتشرح وتتفاوض حول المعنى في كل لقاء ثقافي.

وفي البيانات الخامسة، شكّلت فضاء الاتصال الثقافي عبر الفضاءات المقدسة وإرث الحضارة (الجدول ٤,٥). فقد أظهرت البيانات CZ5-01 و CZ5-02 و CZ5-03أن الفضاء المادي في الرواية ليس خلفية سلبية للرحلة، بل فضاء ''يتحدث'' عبر التاريخ والعمارة والرموز والقوانين التي تحكمه. فقد مثّلت آيا صوفيا فضاء اتصال ثقافيا سيميائيا–معماريا من خلال الجمع بين الرموز المسيحية البيزنطية والرموز الإسلامية العثمانية داخل مبنى واحد. أما مسجد قرطبة، فقد قدّم أكثر أشكال فضاء الاتصال الثقافي وضوحا وتأثيرا عاطفيا، لأن البطل اختبر مباشرة التفاوت بين الذاكرة التاريخية الإسلامية للمكان والواقع الذي تُمنع فيه الصلاة الإسلامية بينما تستمر فيه الشعائر المسيحية. وفي دبي القديمة، ظهر فضاء الاتصال الثقافي بوصفه فضاءً زمانيًا، حيث حضرت طبقتان زمنيتان، هما إرث ما قبل النفط وحداثة المدينة، معًا داخل الحيز الحضري نفسه. وتعزّز هذه البيانات الحجة القائلة إن فضاء الاتصال الثقافي لا يحدث فقط بين البشر، بل أيضا بين الإنسان والفضاءات التي تختزن اختلافات ثقافية وتاريخية وعلاقات قوة.

وبصورة عامة، ظهرت هذه البيانات الخمسة أن فضاء الاتصال الثقافي في رواية من إسطنبول إلى قرطبة ذو طبيعة متعددة الأبعاد. فهو لا يحدث في نوع واحد من الفضاءات أو عبر ممارسة واحدة، بل يظهر باستمرار طوال رحلة البطل، سواء في

الطقوس اليومية البسيطة أو في مواجهة الإرث الحضاري المشبع بالتاريخ. وما يوحّد جميع أشكال فضاء الاتصال الثقافي هذه هو الدينامية الملازمة لها؛ فالبطل لا يكون محايدًا تمامًا في أي لقاء، وكل مواجهة تحمل دائمًا عناصر من التكيّف أو التأويل أو التفاوض أو المقاومة. وهذا ينسجم تمامًا مع جوهر نظرية ماري لويز برات التي تؤكد أن فضاء الاتصال الثقافي هو فضاء اجتماعي لا تلتقي فيه الثقافات المختلفة فحسب، بل تعيد تشكيل بعضها بعضا ضمن علاقات لا تكون متكافئة بصورة كاملة أبدا.

ب. بناء هوية الشخصية من خلال التفاعل الثقافي في منطقة الاتصال في رواية من إسطنبول إلى قرطبة استنادا إلى نظرية ماري لويز برات

تناول هذا القسم كيفية تشكيل هوية بطل الرواية من خلال التفاعلات الثقافية التي حدثت طوال الرحلة. في هذا البحث، لا تفهم الهوية بوصفها شيئا ثابتا، بل ينظر إليها على أنها ديناميكية، بل بوصفها شيئا متحركا، قابلً للتفاوض، ويتشكّل باستمرار من خلال اللقاءات مع الآخر، والتجارب داخل مساحات غير مألوفة، والطرق التي فسّر بها بطل الرواية الثقافات التي يواجهها. ولذلك، ركّزت المناقشة في هذا القسم على البيانات التي أوضحت كيف يفهم بطل الرواية نفسه من خلال اللقاءات الثقافية.

١. الهوية الإسلامية للبطل كما تم بناؤها من خلال لقاءات مع ممارسات طقسية إسلامية متنوعة

إن الهوية الإسلامية للبطل في رواية ''من إسطنبول إلى قرطبة'' ما ظهرت كشيء مكتمل أو مستقر منذ بداية الرحلة. وبدلا من ذلك، فإنها تتشكّل تدريجيا من خلال سلسلة من اللقاءات مع أنماط مختلفة من الممارسة الدينية في الأماكن التي يزورها. لم تأخذ هذه اللقاءاتُ دائمًا شكلَ صراع أو نقاش لاهوتي؛ بل ظهرت من خلال تفاصيل تبدو بسيطة: طريقة وضع الأحذية عند دخول المسجد، وعادات المصافحة بعد الصلاة، وطريقة الاحتفال بعيد الفطر مع عائلات من خلفيات ثقافية مختلفة. ومن خلال هذه

التفاصيل التي تبدو تافهة على وجه التحديد، يبدأ بطل الرواية في إدراك أن ما كان يفهمه سابقًا على أنه ممارسات إسلامية عادية وعالمية هي في الواقع تعبيرات محلية وثقافية محددة عن الإسلام. وفي إطار ماري لويز برات، يمكن تفسير مثل هذه اللقاءات بوصفها مناطق اتصال، أي فضاءات اجتماعية تلتقي فيها الثقافات تلتقي فيها الثقافات وتتصادم وتتفاوض على مواقفها (برات، ١٩٩٢). وما يميز البيانات الواردة في هذا القسم الفرعي عن غيرها هو أن منطقة الاتصال هنا ما حدثت بين الإسلام والديانات الأخرى، بل بين المسلمين من خلفيات ثقافية مختلفة. ويشكل هذا منطقة اتصال إسلامية داخلية، وهي مساحة كشفت فيها المعايير الإسلامية المتميزة ثقافيا عن نفسها من خلال الاختلافات في الممارسة. ومن خلال نقاط البيانات الثلاث التالية، سيتم توضيح كيف يطور بطل الرواية تدريجيا وعيا بأن هويته الإسلامية حية وديناميكية ويتم التفاوض عليها بشكل مستمر من خلال احتكاكه بالآخر.

الجدول ٤,٦ : بيانات تشكيل الهوية من خلال الممارسات الدينية

الرقم	الرمز	الاقتباس	الصفحة	المكان	بُعد الهوية	السياق
١	ID1-01	واكتشفت أن الدوائر الحكومية والمصالح والشركات والدولة كلها تعمل يوم الجمعة عملاً عادياً، وأن الإجازة أو الراحة الأسبوعية للموظفين والدولة تكون يومي السبت والأحد، وليس الجمعة	٢٧	إسطنبول	هوية إسلامية ذات وعي بالسياق السياسي والمحلي	إدراك أن العلاقة بين الدين والدولة في تركيا تختلف جذريًا عمّا ألفه البطل في بيئته الإسلامية العربية، مما يدفعه إلى مراجعة تصوّره عن يوم الجمعة بوصفه علامة هوية إسلامية في الفضاء العام

		كمعظم الدول الإسلامية . (Shabloul, 2006, p. 27)				
٢	ID1-02	وإذا بهما يسلمان علي سلاما حارا، وكأنني سأبدأ حديثا معهما، ولم أجد أحدا من الأتراك يصافح من يجلس على يمينه ويساره (Shabloul, 2006, p. 27)	٢٦	بورصة	هوية تحليلية تفصل بين الدين والثقافة	التمييز بين الإسلام كدين والممارسات الثقافية العربية المرتبطة به، نتيجة الاحتكاك مع مجتمع مسلم مختلف
٣	ID1-03	وكان الكويت أرضا محايدة يلتقي فيها المسلمون من شعوب مختلفة، العيد جمعنا، لكن المائدة كانت تركية، والضيافة كويتية، والأسرة مصرية (Shabloul, 2006, p. 69).	٦٩	الكويت	هوية إسلامية عابرة للحدود ذات نزعة تثاقفية	الانفتاح على تعددية أشكال التعبير عن الإسلام، وتبنّي فهم أكثر مرونة وعابر للحدود

أوضحت البيانات في الجدول ٤,٦ أن الممارسات الدينية ما عملت في رواية *من إسطنبول إلى قرطبة* بوصفها شعائر تعبدية فحسب، بل تسهم أيضا في تشكيل هوية

البطل من خلال اللقاءات الثقافية التي يعيشها أثناء الرحلة. وتنطلق هذه الدراسة من مفهوم منطقة الاتصال عند ماري لويز برات، التي ترى أن الهوية لا تُعدّ معطى ثابتًا، بل تتشكل باستمرار من خلال التفاعل والتفاوض داخل الفضاءات التي تلتقي فيها الثقافات المختلفة (برات، ١٩٩٢). وفي هذا السياق، ما حدثت عملية شكّلت الهوية من خلال مواجهة بين الإسلام وغيره من الأديان، بل من خلال لقاءات داخل المجتمعات الإسلامية نفسها، حيث يكتشف البطل اختلافات في الممارسات الاجتماعية والثقافية والسياسية المرتبطة بالدين. ويتوافق هذا التصور مع ما أشار إليه ستيوارت هول من أن الهوية الثقافية ليست جوهرًا ثابتًا، بل عملية مستمرة من التشكل وإعادة التشكيل عبر الخبرات والتجارب المختلفة (هول، ١٩٩٥، ص. ٢٢).

أشارت البيانات ID1-01 إلى أن التجربة الأولى للبطل في إسطنبول لا تجري من خلال صراع مفتوح، بل من خلال اكتشاف مفاجئ يهزّ يقينًا كان يبدو راسخًا. فبعد أن أدّى البطل صلاة الجمعة، وجد عند خروجه من المسجد أن الأسواق مفتوحة، والدوائر الحكومية عملت بصورة اعتيادية تامة، وأن يوم العطلة الأسبوعية الرسمية في تركيا هو السبت والأحد لا الجمعة، خلافاً لما هو سائد في معظم الدول الإسلامية. هذا الاكتشاف لم يُشكّل مجرد ملاحظة سياحية، بل دفع البطل إلى البحث عن تفسير، فربطه بإصلاحات مصطفى كمال أتاتورك عام ١٩٢٤ التي أفضت إلى إلغاء الخلافة وفصل الدولة عن الدين واستبدال التشريعات المستندة إلى الشريعة بقوانين مدنية أوروبية.

و توافقت هذه الديناميكية مع ما تصفه برات (١٩٩٢، ص. ٣٤) بأنه شكّلت الهوية داخل منطقة الاتصال، حيث يُجبر اللقاء الفرد على إعادة تعريف موقعه من خلال إدراك أن هويته قد تشكلت داخل سياق ثقافي محدد. فالبطل يظل مسلمًا، لكنه يُدرك الآن أن فهمه للإسلام تأطّر بالمحلية الثقافية العربية التي نشأ فيها، لا بالإسلام بوصفه تجربة واحدة موحدة في جميع المجتمعات. كما يتوافق ذلك مع ما أشار إليه هول

(١٩٩٥، ص. ٢٢) من أن الهوية الثقافية ليست ثابتة، بل تستمر في التشكل من خلال التجارب المتراكمة.

ومن منظور الرجل الناظر (*seeing-man*) كما تطرحه برات (٢٠٠٨، ص. ٩)، يأخذ البطل في هذا المشهد موقع المراقب الذي يملك مرجعية ثقافية تجعله لاحظ ما يبدو طبيعيًا لأبناء المجتمع التركي. فعندما يصف تركيا بأنها تختلف عن معظم الدول الإسلامية، فإنه يمارس سلطة تفسيرية تنطلق من موقعه المرجعي الإسلامي العربي. و عملت علاقات القوة هنا بصورة ضمنية، لأن الدولة التركية هي التي تحدد بنية الزمن العام بصفتها السلطة السياسية العليا، بينما يقف البطل في موقع الملاحظ الخارجي الذي يكتشف هذا الاختلاف و أعاد من خلاله التفكير في مكونات هويته.

أشارت البيانات ID1-02 إلى أن الاختلاف لم يعد يكمن في إجراءات دخول المسجد، بل في الإيماءات الاجتماعية بعد العبادة. يتلقى بطل الرواية تحية حارة، لكنه لاحظ أن لا يصافحون من عن يمينهم ويسارهم كما اعتاد يمينا ويسارا كما اعتاد. وهنا أصبحت هويته الإسلامية أكثر وضوحا ليس عندما يتم تأكيد معاييره، ولكن عندما تفشل في الظهور بنفس الشكل في السياق الإسلامي التركي. يبدأ بطل الرواية في فهم أن ما كان يعتبره سابقا إيماءة ''إسلامية مألوفة'' يوصف بشكل أكثر دقة بأنه لفتة ''عربية عادية''.

إن غياب ممارسة المصافحة في التفاعل الاجتماعي يدفع البطل إلى إدراك أن هذه العادة ليست جزءا أساسيا من الإسلام، بل هي تعبير عن الثقافة العربية. وتشجعه هذه التجربة على إعادة تقييم الممارسات التي كان يعتبرها ذات يوم عالمية ومتأصلة في هويته الدينية. ومن ثم، ينشأ تمييز بين الإسلام كدين والتعبير الاجتماعي والثقافي العربي، مما يؤدي إلى مفاوضات أكثر تأملاً حول الهوية. و توافقت هذه البيانات مع وجهة نظر ماري لويز برات (٢٠٠٨)، التي ترى أن مناطق الاتصال ما كشفت عن الاختلافات

الثقافية فحسب، بل كشفت أيضا عن خصوصية الممارسات التي كان يُفترض سابقًا أنها عالمية.

ظهرت بيانات ID1-03 مزيدا من التطور. في حين أن البطل في البيانات السابقة يتكيف في المقام الأول ويعترف بنسبية ممارساته الخاصة، فإنه في الكويت يدخل فضاء إسلاميا أوسع حيث تتعايش الوحدة الروحية مع التعددية الثقافية. هنا، لا يتم تقديم عيد الفطر أو عيد الأضحى كطقوس موحدة، بل كمساحة مشتركة تجمع المسلمين من خلفيات وطنية وثقافية متنوعة.

لا يفقد البطل هويته المصرية، لكنه لم يعد يعتبرها الشكل الوحيد الصحيح. وبالتالي يمكن وصف الهوية المتكونة في البيانات ID1-03 بأنها هوية إسلامية مصرية ذات طابع توافقي عابر للحدود، وهي هوية إسلامية متجذرة في أصلها ولكنها منفتحة على تعدد التعبيرات الإسلامية التي تتعايش دون نفي بعضها البعض. وفي إطار ماري لويز برات (١٩٩٢)، يمكن فهم هذا الوضع باعتباره شكلاً من أشكال منطقة الاتصال التي تمكن من التثاقف، حيث لا يتلقى الذات ثقافات أخرى بشكل سلبي، بل يطور وجهات نظر جديدة من خلال مثل هذه اللقاءات.

و توافقت هذه النتائج مع الدراسات الحديثة التي تنظر إلى الهوية في أدب الرحلات بوصفها نتيجة للمفاوضات المستمرة بين الثقافات. و أشارت أبحاث جينا إي. كيم (٢٠٢٤) إلى أن مفهوم منطقة الاتصال لا يزال ذا صلة في السياقات الحديثة بوصفه فضاءً شكّلت الهوية من خلال اللقاءات الثقافية، وهو ما يتوافق مع البيانات ID1-01إلى ID1-03 حيث يخضع البطل لتحولات متتالية في فهمه للممارسات الإسلامية. وبالمثل، أكّد دين كاريوكي وجويدو فان ميرسبيرجن (٢٠٢٤) أن تجارب السفر شكّلت مواقف الأفراد من خلال التفاوض على الهوية ضمن العلاقات العابرة للحدود، وهو ما ينعكس في انتقال البطل من رؤية محلية محدودة إلى وعي أكثر انفتاحًا.

كما تتفق هذه النتائج مع ما أوضحته ناديا تشيلوينا (٢٠٢٥) من أن السفر يفضي إلى إعادة التفكير في الهوية من خلال الخبرات الملموسة التي يعيشها المسافر أثناء رحلته.

ومع ذلك، تختلف هذا البحث أيضا عن الأبحاث الأخرى ذات التركيز المتميز. و أكّد بريا وحميد (٢٠٢٥) على النقل الثقافي من خلال التقاليد السردية والشفوية، في حين أوضحت هذا البحث أن تشكيل الهوية يحدث من خلال الممارسات الطقسية اليومية داخل الفضاءات الدينية. بالإضافة إلى ذلك، يركز إيجرتر (٢٠٢٥) على التفاعلات في الفضاءات الرقمية، بينما تسلط هذا البحث الضوء على التفاعل المباشر داخل المساحات المادية والاجتماعية. وبالتالي، فإن هذا البحث يوسع الدراسات الحديثة من خلال إظهار أن الهوية الإسلامية لا تتشكل من خلال الخطاب أو التمثيل فحسب، بل أيضا من خلال الممارسات الملموسة داخل مناطق الاتصال اليومية داخل الإسلام.

تشكّلت الهوية الإسلامية للبطل في رواية من إسطنبول إلى قرطبة من خلال ثلاث عمليات مترابطة ومتدرجة. ففي البيانات ID1-01 تتشكل هوية مسلم عربي يُدرك أن تصوره عن العلاقة بين الدولة المسلمة ويوم الجمعة قائم على سياق ثقافي محلي لا على معيار إسلامي واحد ثابت. وفي البيانات ID1-02 تتعمق هذه الهوية من خلال التمييز بين الإسلام بوصفه دينًا وبين الممارسات الاجتماعية العربية المرتبطة به. أما في البيانات ID1-03 تطوّرت الهوية نحو قبول التعددية الإسلامية والانفتاح على أشكال مختلفة من التعبير الثقافي داخل إطار ديني مشترك.

وهكذا، وفي ضوء الإطار النظري لماري لويز برات، يتضح أن الهوية الإسلامية للبطل لا تُبنى من خلال التأكيد الصارم على ثوابتها، بل من خلال عملية تفاوض مستمرة داخل مناطق الاتصال التي تنشأ داخل المجتمعات الإسلامية نفسها. ومن خلال هذه اللقاءات المتتابعة ينتقل البطل من وعي محلي محدود إلى فهم أكثر مرونة واتساعًا للهوية الإسلامية بوصفها هوية قابلة للتعدد والتشكل المستمر.

٢. تشكّل هوية الشخصية بوصفه مراقبًا غذائيًا من خلال اللقاء بالنظم الغذائية المحلية وممارسات الشتات

في رواية من إسطنبول إلى قرطبة، لا يعمل الطعام كمكمل للرحلة فحسب، بل كمساحة ثقافية مرتبطة ارتباطا وثيقا بالجسد والعادات والهوية. لا يأكل البطل لإشباع الجوع فحسب؛ بل إنه فسّر الأماكن والبيئات والمجتمعات من خلال الطعام الذي يواجهه. لذلك، يمكن فهم لقاءات الطهي في هذه الرواية كجزء من منطقة اتصال، وهي مساحة اجتماعية تلتقي فيها الثقافات المختلفة و شكّلت المعاني بشكل متبادل، كما تصورتها ماري لويز برات (٢٠٠٨، ص ٧—٨). وفي سياق السؤال البحثي الثاني، فإن ما أصبح مهما ليس فقط أن البطل يواجه أنواعا مختلفة من الطعام، بل كيف تؤثر هذه اللقاءات على الطريقة التي يفهم بها نفسه. في هذا الصدد، يشبه موقف بطل الرواية إلى حد كبير ما يصفه برات بالرجل البصير، وهو موضوع مسافر لا يراقب العالم الذي يواجهه فحسب، بل فسّر ه أيضا (برات، ٢٠٠٨). ويتفق هذا التفسير أيضا مع وجهة نظر كارل تومسون، الذي يزعم أن كتابة الرحلات عملت دائما كسجل للقاءات بين الذات والآخر، فضلا عن كونها تفاوضًا بين التشابه والاختلاف الذي ينشأ من خلال تجربة السفر (تومسون، ٢٠١١، ص ١١. ١٠).

الجدول ٤,٧: بيانات تشكيل الهوية من خلال الطعام

الرقم	الرمز	الاقتباس	الصفحة	المكان	بُعد الهوية	السياق
١	ID2-01	بعد أن تناولنا الغداء فهمت لماذا كان اللحم طيِبا والحليب طازجا، ربطت جودة الطعام بالمراعي الطبيعية في الجبال،	٢٦	إسطنبول	هوية المراقب البيئي (seeing-man)	قراءة جودة الطعام من خلال العلاقة بين البيئة الطبيعية ونمط العيش المحلي

		حيث تعيش الحيوانات بعيدا عن التّلوث (Shabloul, 2006, p. 31)				
٢	ID2-02	في الطريق إلى نيسبار تناولنا غداءً ريفياً ملوناً من: شربة فاصولياء، ولحم دجاج، وأرز، وسلطة خضراء بالبطاطس والبصل، ومشروبات غازية (Shabloul, 2006, p. 44)	٢٦	بورصة	هوية المسافر المرن القادر على التفاوض الثقافي	التفاعل مع طعام مختلف يجمع بين المألوف والغريب دون رفض، بل عبر التكيف
٣	ID2-03	أقاموا وليمة وداع بطبق الصيادية الكويتية، الأرز الباسماتي، ومرق السمك، والبصل المكرمل، والزعفران، والبهارات الخليجية (Shabloul, 2006, p. 68).	٦٩	الكويت	هوية تثاقفية تتشكل عبر تبنّي عناصر من ثقافة أخرى	فهم الطعام كنتاج لعملية تثاقف داخل مجتمع المهاجرين

أظهرت البيانات ID2-01 أنه بعد تناول الطعام في بورصة، لا يتوقف البطل عند تقييم الذوق. ويذهب إلى أبعد من ذلك من خلال ربط جودة اللحوم والحليب بأسلوب حياة الحيوانات، والمراعي الجبلية، والظروف البيئية الخالية من التلوث. وبعبارة أخرى، لا يُفهم الطعام على أنه مجرد موضوع للذوق، بل كنتيجة للعلاقات البيئية بين الطبيعة والحيوانات والبشر. وهذا أمر مهم لأن بطل الرواية لا يظهر كسائح يقوم ببساطة ''بتذوق" المأكولات المحلية، ولكن كمراقب يسعى إلى فهم سبب امتلاك الطعام لصفات معينة. ومن هذه النقطة، أصبحت التجربة الغذائية طريقًا لتفسير النظم الغذائية المحلية. يحول بطل الرواية تركيزه من الطبق إلى المناظر الطبيعية، ومن الذوق إلى أساليب الحياة.

وبالتالي، فإن هذه البيانات ليست مجرد انطباع بأن ''طعام بورصة لذيذ'' ولكنها تعكس هوية بطل الرواية كموضوع يفهم الثقافة من خلال الترابط بين الذوق والبيئة وأنظمة المعيشة المحلية. لذلك، فإن الهوية التي تشكلت في البيانات ID2-01 هي هوية البطل بوصفه رجلا ناظرا غذائيا–بيئيا، أي مراقبا فاعلا وتأمليا قادر على تفسير الطعام كتعبير عن العلاقة بين الطبيعة والثقافة المحلية، كما تصورها ماري لويز برات (٢٠٠٨). لا ينغمس بطل الرواية في التجربة فحسب، بل يبني أيضا تفسيرا لها من وجهة نظره الخاصة. وهو فسّر الطعام باعتباره انعكاسا لعالم أوسع، ألا وهو البيئة الجبلية في بورصة وأسلوب حياة المجتمعات المرتبطة ارتباطا وثيقا بالطبيعة. ويتفق هذا التفسير أيضا مع كارل تومسون، الذي أكّد أن كتابة الرحلات لا تقدم الأماكن فحسب، بل تقدم أيضا استجابات الكاتب وأفكاره وتفسيراته لتلك الأماكن (تومسون، ٢٠١١).

ظهرت بيانات ID2-02 تجربة بطل الرواية عند مواجهة المطبخ البلغاري الريفي. والأمر المثير للاهتمام بشكل خاص في هذه البيانات هو أن الطعام المقدم لا يبدو غريبا تماما. لا يزال بطل الرواية يتعرف على العناصر المألوفة، مثل الدجاج والأرز، إلا أنها ظهرت ضمن ترتيبات وأجواء وسياقات ثقافية في البلقان تختلف عن تلك التي يجلبها

معه. وهذا يعني أن تجربة الأكل ما عملت ضمن منطق ''الغربة الكاملة''، بل ضمن مزيج من المألوف والمختلف. البطل لا يرفض الطعام، ولا ينخرط في تصور يوحي بأن كل شيء متشابه. وبدلا من ذلك، فهو يقف في منطقة وسطى: التعرف على عناصر معينة مع الاعتراف في الوقت نفسه باختلافاتها.

يتم الحفاظ على هوية بطل الرواية كمسافر عربي، ولكن لا يتم التعامل معها كمعيار واحد. فهو يتنقل بين الموقفين، مما يجعل هويته مرنة وليست جامدة، ومنفتحة على إمكانيات جديدة. ومن منظور ماري لويز برات، ظهرت هذه الحالة أن مناطق الاتصال لا تنتج دائمًا صراعًا، ولكنها يمكن أن عملت أيضا كمساحات دقيقة للتفاوض. لا يرفض البطل الاختلاف ولا يفترض التشابه؛ بل ينخرط بدلا من ذلك في عملية مرنة من التكيف. وهذا يتوافق مع طومسون (٢٠١١)، الذي أكّد أن كتابة الرحلات هي مساحة للتفاوض بين الذات والآخر.

مثّلت البيانات ID2-03 موقفا أكثر تعقيدا من الحالتين السابقتين. هنا، لا يواجه بطل الرواية الطعام الكويتي المحلي فحسب، بل لاحظ أيضا كيفية استخدامه من قبل الجالية المصرية في المهجر وسيلة للألفة الجماعية والتكريم في تجمع الوداع. وبالتالي، فإن ما يظهر لم يعد علاقة بسيطة بين المسافر والطعام غير المألوف، بل ممارسة اجتماعية تثبت أن الهوية الثقافية لا يتم التعبير عنها دائمًا من خلال شكل ''نقي'' من أصلها. لا استخدم المجتمع المصري في الكويت الطعام المصري لتأكيد هويته، بل تتبنّى الطعام الكويتي ضمن فضاءهم الاجتماعي الخاص.

وفي هذا السياق، يكتسب الطعام الكويتي معنى جديدا داخل الشتات المصري: فهو لم يعد مجرد''طعام مضيف''، بل أصبح أيضا وسيلة للترابط المجتمعي. أدرك البطل أن الهوية الثقافية ليست مرتبطة بشكل دائم برمز واحد، بل يمكن أن تتحول وتتوسع من خلال اللقاءات. وبالتالي تطوّر فهمه للهوية. فهو لم يعد ينظر إلى الهوية المصرية كشيء

يجب التعبير عنه دائمًا بأشكال مصرية بحتة، بل كشيء يمكن أن يستمر وحتى يتعزز من خلال دمج العناصر الثقافية المحلية حيث يقيم الشتات.

لذلك، فإن الهوية التي تشكلت في البيانات ID2-03 هي هوية مراقب الشتات الذي يتمتع بوعي با التثاقف في المجال الغذائي، أي موضوع يفهم أن الهوية الثقافية يمكن أن تظل حية من خلال امتصاص وتحويل العناصر الثقافية الأخرى، وليس من خلال الحفاظ الصارم على الأشكال الأصلية. في هذه المرحلة، أصبح مفهوم برات للت التثاقف ذا أهمية كبيرة. تشرح ماري لويز برات أن التثاقف يشير إلى العملية التي لا يتلقى بها الأشخاص في مناطق الاتصال ثقافات أخرى بشكل سلبي، بل يختارون ويستوعبون ويحولون العناصر الثقافية بشكل نشط وفقًا لاحتياجاتهم وتجاربهم الخاصة (برات، ٢٠٠٨).

عند وضعها ضمن السياق العلمي الأوسع المستخدم في هذا البحث، يظهر تفسير بيانات الطهي أوجه تشابه مع بريا وحميد (٢٠٢٥)، اللذين ينظران إلى كتابة السفر كوسيلة لا تسجل الرحلات فحسب، بل تنشط أيضا التجربة الثقافية من خلال الممارسات اليومية. في هذا القسم الفرعي، يعمل الغذاء على وجه التحديد بهذه الطريقة: ليس فقط كموضوع للاستهلاك، ولكن كنقطة دخول لفهم البيئات والعلاقات الاجتماعية وأساليب الحياة. ويمكن رؤية منظور مماثل لدى مالك (٢٠٢٣)، الذي أكّد أن تجارب السفر ت شكّلت من خلال التفاعل المباشر مع الممارسات المحلية. وفي حالات بورصة وبلغاريا والكويت، أصبح الطعام هو الشكل الأكثر واقعية للتفاعل، مما يجعل تجربة الطهي لا يمكن فصلها عن المساحات الاجتماعية والثقافية التي تندمج فيها.

ومن ناحية أخرى، تختلف هذا البحث عن العديد من الأعمال الأخرى التي تمت مناقشتها في هذه الأطروحة. على سبيل المثال، تضع جينا إي. كيم (٢٠٢٤) منطقة الاتصال ضمن سياقات أوسع مثل الجغرافيا السياسية والتاريخ العالمي، في حين يوضح هذا القسم الفرعي أن تشكيل الهوية يمكن أن يحدث من خلال تجارب مرتبطة ارتباطا

وثيقا بالجسد، أي الأكل. وبالمثل، تؤكد نادية تشيلوينا (٢٠٢٥) على انعكاس الهوية كنتيجة عامة لتجارب السفر، بينما في هذه البيانات، يبدو تكوين الهوية أكثر تحديدا وتدريجيا من خلال ممارسات الطهي: من تفسير النظم البيئية، والتفاوض بين المألوف وغير المألوف، إلى فهم ديناميكيات الشتات.

تتشكل هوية البطل بوصفه مراقبا غذائيا من خلال ثلاث عمليات مترابطة. في البيانات ID2-01، الهوية التي تم تشكيلها هي هوية البطل بوصفه رجلا ناظرا غذائيا–بيئيا، وهو موضوع فسّر جودة الغذاء من خلال العلاقة بين الطبيعة وأنظمة الغذاء وأساليب الحياة المحلية. في البيانات ID2-02، الهوية المتكونة هي هوية مسافر عربي يتفاوض بمرونة على هوية الطهي، ويتنقل بين المألوف وغير المألوف دون رفض أي منهما. في البيانات ID2-03، تطوّرت الهوية إلى هوية مراقب الشتات الذي يتمتع بوعي التثاقف في مجال الطهي، مع إدراك أن الهوية الثقافية يمكن أن تتوسع من خلال استيعاب وتحويل العناصر الثقافية الأخرى.

وهكذا، وبشكل صريح ضمن الإطار النظري لبرات، يوضح هذا القسم الفرعي ثلاثة أشكال من تشكيل الهوية: الرجل الناظر، والتفاوض على الهوية، و التثاقف. وتؤكد هذه الأمور مجتمعة أن طاولة الطعام في هذه الرواية ليست مجرد مساحة للاستهلاك، بل هي أيضا مساحة للبناء الذاتي.

٣. اختبار هوية الشخصية بوصفه مسلمًا عربيًا وبناؤها من خلال اللقاء بثقافات اللباس المختلفة

ومن بين العناصر الثقافية المتنوعة التي واجهها البطل طوال رحلته، تحتل الملابس مكانة مميزة. الملابس ليست مجرد غطاء للجسم بل هي علامة دالّة، رمز يجسّد قيما ومعتقدات وتاريخا كل من مرتديها والمجتمع المحيط بها. في رواية ''من إسطنبول إلى قرطبة''، واجه البطل الملابس مرارا وتكرارا كعلامة على الهوية تثير الأسئلة والتأملات: فيما يتعلق بالعلاقة بين الإسلام والدولة، وكيف يتم تفسير أجساد المسلمين بشكل

مختلف عبر السياقات الثقافية، وكيف يمكن لنفس شكل اللباس أن حمل معاني مختلفة تمامًا اعتمادا الفضاء الذي يُرتدى فيه تبيّن ماري لويز برات (١٩٩٢، ص ١٧) أنه داخل منطقة الاتصال، يشكل الجسم والمظهر الجسدي أحد أكثر المواقع المباشرة التي أصبحت فيها الاختلافات الثقافية مرئية ومقروءة. ويتماشى هذا الاتجاه التحليلي مع إشكالية البحث الثانية، التي تدرس كيفية تشكيل هوية بطل الرواية والتفاوض عليها من خلال التفاعل الثقافي داخل منطقة الاتصال. في إطار برات، تفهم منطقة الاتصال على أنها مساحة اجتماعية تلتقي فيها الثقافات المختلفة و واجهت بعضها البعض في لا تكون متكافئة دائما (برات، ٢٠٠٨، ص ٧–٨). ولذلك، فإن الملابس في هذه البيانات ليست مجرد موضوعا للملاحظة، ولكنها وسيلة تجبر بطل الرواية على إعادة تقييم العلاقة بين الرموز الإسلامية والجسد والفضاء الاجتماعي.

الجدول ٤,٨: بيانات تشكيل الهوية من خلال اللباس والجسد

الرقم	الرمز	الاقتباس	الصفحة	المكان	بُعد الهوية	السياق
١	ID3-01	عرفت بعد ذلك أن هذه كانت تعليمات حكومة أتاتورك الذي ألغى الخلافة الإسلامية عام ١٩٢٤ وفصل بين الدولة والدين وألغى استخدام الطربوش والعمامة، وارتداء الحجاب (Shabloul, 2006, p. 27)	٢٦	إسطنبول	هوية إسلامية نقدية تجاه السلطة السياسية	إعادة التفكير في العلاقة بين الدين والدولة من خلال سياسات اللباس في تركيا

٢	ID3-02	كانت هناك امرأة منقبة تسكن مع عائلتها في الفندق نفسه، كانت محط أنظار جميع النساء والرجال والأطفال... نظراتهم كانت تحمل بين الاستهزاء والدهشة والغضب (Shabloul, 2006, p. 36)	٢٦	فارنا	هوية انعكاسية ترى الذات من منظور الآخر-seeing) man)	إدراك أن رموزه الثقافية قد تُقرأ بوصفها "غريبة" أو "مختلفة" في سياقات أخرى
٣	ID3-03	لاحظت أن الفتاة الإماراتية تلبس العباءة السوداء الكاملة والشيلة ولكنها تعمل في المطار ومحلات السوق وتقود سيارتها بنفسها (Shabloul, 2006, pp. 61–62).	٦٩	دبي	هوية مرنة سياقية تعيد تعريف العلاقة بين الإسلام والجندر	إعادة تفسير معنى اللباس الإسلامي في سياق اجتماعي مختلف يسمح للمرأة بالحضور في المجال العام

ظهرت بيانات ID3-01 أن تجربة الشخصية الرئيسة في إسطنبول قادته إلى إعادة صياغة فهمه للعلاقة بين الإسلام والدولة. في السابق، كان يأتي من خلفية ثقافية أكثر دراية بوجود الرموز الإسلامية في الفضاء العام. لكنه علم في تركيا أن الدولة قامت ذات

مرة بإزالة هذه الرموز من خلال سياسات العلمنة. إن هذا اللقاء له أهميته لأن البطل يبدأ في إدراك أن شكل العلاقة بين الإسلام والدولة التي عرفها ليس عالميا.

الهوية التي تتشكل في هذه البيانات هي هوية مسلم عربي يخضع لمفاوضات أيديولوجية: يظل بطل الرواية راسخا في أفق إسلامي، لكنه أصبح أكثر وعيا بأن العلاقة بين الدين والدولة والملابس تتشكل بعمق من خلال السياقات التاريخية والسياسية. وهذا يتماشى مع فكرة ماري لويز برات بأن الهوية داخل منطقة الاتصال تتشكل على وجه التحديد عندما يواجه الشخص أنظمة قيم مختلفة عن تلك التي حملها معه (برات، ٢٠٠٨).

أظهرت البيانات ID3-02 أن بطل الرواية في فارنا لم يعد يواجه سياسة الدولة، بل النظرة الاجتماعية. النقاب، الذي لا يزال من الممكن فهمه ضمن الأفق الثقافي لبطل الرواية كجزء من الهوية الإسلامية، أصبح في السياق البلغاري شيئا أجنبيا ويدعو إلى رد الفعل. والأمر الجدير بالملاحظة بشكل خاص هو أن بطل الرواية لا يسجل فقط أن المرأة المحجبة يُنظر إليها على أنها ''مختلفة''، بل يحاول أيضا شرح منطق هذا الاختلاف من خلال القياسات التي يبنيها بنفسه.

هنا، يظهر بطل الرواية كمراقب ما دافع عن ثقافته فحسب، بل يسعى إلى فهم كيف أصبح الرمز المألوف هو الآخر في نظر ثقافة أخرى. ترتبط هذه النتيجة ارتباطا وثيقا بمفهوم برات عن الرجل الناظر، ولكن بشكل أكثر انعكاسا. الهوية المتكونة هي هوية المسلم العربي كرجل بصير متأمل شخص لا يحافظ على هويته فحسب، بل قادر أيضا على فهم كيفية النظر إلى تلك الهوية على أنها ''أخرى'' داخل فضاء ثقافي مختلفة. يظل بطل الرواية مراقبًا، لكن ملاحظته قادته إلى رؤية رموزه الثقافية من منظور خارجي (برات، ٢٠٠٨).

مثّلت البيانات ID3-03 نوعا مختلفا من التحديات، الناشئة من داخل العالم العربي الإسلامي نفسه. في السابق، كان بطل الرواية يميل إلى ربط الملابس الإسلامية مثل

العباءة بالقيود المفروضة على حركة المرأة. لكنه يواجه في دبي واقعاً يتناقض مع هذا الافتراض. وتستمر المرأة الإماراتية في ارتداء العباءة أثناء مشاركتها الفعالة في العمل والحياة العامة. وهذا يقود البطل إلى فهم أن معنى الملابس الإسلامية ليس مفردا؛ إذ يمكن لنفس الملابس أن تحمل معاني اجتماعية مختلفة اعتمادًا على السياق الذي يتم ارتداؤها فيه.

الهوية التي تشكلت في هذه البيانات هي هوية مسلم عربي يخضع لإعادة التفاوض السياقي، مع ميل التثاقف المعرفي. أصبح بطل الرواية أكثر مرونة في تفسير العلاقة بين الملابس و الجندر والفضاء الاجتماعي. تمشيا مع إطار ماري لويز برات، يمكن فهم هذه العملية باعتبارها عملية تفاوض على الهوية تتجه نحو التحول الثقافي، حيث لا يرفض البطل التجربة الجديدة بل يعالجها بدلا من ذلك لتشكيل فهم أكثر سياقية (برات، ١٩٩٢).

إن قراءة بيانات الملابس في هذا القسم الفرعي أوضحت أن الجسم والمظهر ليسا مجرد جوانب بصرية للسفر، بل هما مساحات يتم فيها التفاوض على الهوية بشكل مباشر. وفي هذا السياق، تساعد الدراسة التي أجراها دين كاريوكي وجويدو فان ميرسبيرجن (٢٠٢٤) في توضيح أن الجسد والوضع الاجتماعي وعلاقات القوة هي مكونات أساسية في فهم تجارب السفر. ويتجلى ذلك في بيانات إسطنبول وفارنا، حيث لا ينظر إلى الملابس على أنها رمز ديني فحسب، بل أيضا كعلامة شكلها التاريخ السياسي وفسرها المجتمع بشكل مختلف. وهكذا فإن تجربة البطل لا تنتهي عند الملاحظة، بل تطوّرت إلى فهم لكيفية وضع أجساد المسلمين في سياقات اجتماعية مختلفة.

ومع ذلك، تقدم هذا البحث منظورا أكثر تحديدا مقارنة بالعديد من الأعمال الأخرى التي تمت مناقشتها في هذه الأطروحة. على سبيل المثال، ينظر ستيفانوفيتش ولوبيتشيتش (٢٠٢٣) إلى كتابة الرحلات باعتبارها مساحة عامة للقاء الثقافي، في حين

يوضح هذا القسم الفرعي أن مثل هذه اللقاءات يمكن أن حدثت بشكل ملموس من خلال الملابس كعلامة على الهوية. وبالمثل، تؤكد نادية تشيلوينا (٢٠٢٥) على انعكاس الهوية كنتيجة لتجربة السفر، في حين أظهرت البيانات الواردة في هذا القسم الفرعي أن الهوية لا تنعكس فحسب، بل يتم إعادة تشكيلها أيضا من خلال التجارب البصرية والاجتماعية المتعلقة بالجسم والملابس. وبذلك تؤكد هذا البحث أن الملابس ليست مجرد رمز ثقافي، بل هي وسيلة فاعلة في تشكيل كيفية فهم البطل للعلاقة بين الإسلام والجنس والفضاء الاجتماعي داخل منطقة الاتصال.

إن هوية البطل كمسلم عربي ليست ثابتة. وفي إسطنبول، تتشكل هوية أكثر تأملا فيما يتعلق بالعلاقة بين الإسلام والدولة. في فارنا، أصبح الأمر بمثابة مراقب يدرك أن رموزه الثقافية الخاصة يمكن أن أصبحت رموزا أخرى. وفي دبي، تطوّر الأمر إلى فهم أكثر سياقية للملابس الإسلامية والجنس. وهكذا، وبشكل صريح ضمن الإطار النظري لماري لويز برات، يوضح هذا القسم الفرعي ثلاث نتائج لتشكيل الهوية: التفاوض الأيديولوجي، الرجل الناظر التأملي، التثاقف المعرفي. وهذا ما يجعل اللقاءات مع الملابس في الرواية تمتد إلى ما هو أبعد من مجرد الاختلاف البصري، ل أصبحت تسهم بعمق في تشكيل فهم البطل لذاته.

٤. هوية الشخصية كمستخدم ومدافع عن اللغة العربية تتشكل من خلال لقاءات التواصل بين الثقافات

لا تفهم اللغة على أنها مجرد أداة للكلام، بل بوصفها علامة على الهوية. من خلال اللغة، يظهر البطل أصله الثقافي، و شرح عالمه للآخرين، وفي لحظات معينة دافع عن كرامته. لذلك، عندما يواجه بطل الرواية حواجز لغوية في السوق، وسوء فهم ثقافي فيما يتعلق بالشيشة، الظلم في موقف الطابور، فإن ما يتشكل ليس التواصل فحسب، بل أيضا هويته كمستخدم ومدافع عن اللغة العربية. يتوافق هذا الاتجاه التحليلي مع سؤال البحث الثاني، الذي يدرس كيفية تشكيل هوية بطل الرواية والتفاوض بشأنها من

خلال التفاعل الثقافي داخل منطقة الاتصال (برات، ٢٠٠٨، ص ٧—٨). في إطار ماري لويز برات، تفهم منطقة الاتصال على أنها مساحة اجتماعية تلتقي فيها الثقافات المختلفة في علاقات غير متكافئة في كثير من الأحيان، وفي مثل هذه المواقف، يجب على الشخص إيجاد طرقًا جديدة لتحديد موقعه. وفي هذا السياق، أصبحت اللغة واحدة من أكثر المجالات الأكثر وضوحا التي تتم فيها هذه العملية.

الجدول ٤,٩: بيانات تشكيل الهوية من خلال اللغة

الرقم	الرمز	الاقتباس	الصفحة	المكان	بُعد الهوية	السياق
١	ID4-01	اكتشفت أن البائعين يتفاهمون معهم بعد لغة الإشارة عن طريق الآلة الحاسبة، أو الورقة البيضاء الصغيرة يكتبون فيها السعر، من الرقم المكتوب إلى أن نصل إلى حل وسط، أو ننصرف دون أن نشتري شيئا (Shabloul, 2006, p. 27).	٢٦	إسطنبول	هوية تفاوضية تكيفية في التواصل	استخدام استراتيجيات تواصل بديلة نتيجة غياب اللغة المشتركة
٢	ID4-02	ظنّت إيفا وبَلمينا أن الشيشة التي كان يدخنها	٢٦	تونس	هوية تمثيلية (autoethnographic gesture)	الدفاع عن الثقافة العربية وتصحيح سوء الفهم حولها

		بعضنا بها ممنوعات، فنفينا هذا الظن، فربما أن يعرفاها بديلاً من السجائر عليك (Shabloul, 2006, p. 57).				
٣	ID4-03	حين تحاولت الحصول على تذكرة دخول لأشاهد فتاة الداسنايّة وجدت الموظف يقدم السياح الأجانب أمام المواطنين قلت: هذا لا ينص عليه النظام الذي يطبق في كل البلدان المتحضرة (Shabloul, 2006, p. 92).	٦٩	أسوان	هوية مقاومة تستخدم اللغة كوسيلة احتجاج	استخدام اللغة كأداة لرفض التمييز والمطالبة بالعدالة

أظهرت البيانات ID4-01 أن الحواجز اللغوية لا تدفع بطل الرواية إلى الخروج من التفاعل؛ بل تجبره بدلا من ذلك على إيجاد طرق جديدة للتواصل. في سوق إسطنبول، اللغة العربية غير فعالة، واللغة التركية لا يتقنها، واللغة الإنجليزية لا توفر حلا تلقائيا. ومع ذلك، تتم المعاملة من خلال الإيماءات والآلة الحاسبة الورقة الصغيرة. المهم هنا هو أن بطل الرواية ليس سلبيا. ويشارك بشكل فعال في بناء نظام تواصلي ينبثق من الوضع

نفسه. وبالتالي، فهو ليس مجرد ضحية للقيود اللغوية، بل هو فاعل يتفاوض بنشاط على المعنى.

الهوية التي تشكلت في البيانات ID4-01 هي هوية المفاوض اللغوي التكيفي: وهو شخص يحتفظ باللغة العربية كجزء من هويته، ولكنه قادر على العمل بشكل فعال خارج حدودها. وفي إطار ماري لويز برات، يمكن فهم مثل هذا الوضع على أنه منطقة اتصال تجارية لغوية، حيث يفتقر الطرفان إلى لغة مشتركة ولكن يجب مع ذلك إقامة تفاهم متبادل ضمن سياق عملي عاجل (برات، ١٩٩٢). وتقترب هذه العملية حتى من شكل من أشكال التثاقف على المستوى الجزئي في التواصل، حيث يقوم كلا الطرفين بتعديل سلوكهما وإنشاء ''لغة ثالثة'' لا تنتمي بشكل كامل إلى أي من التقليدين. ومن خلال هذه التجربة، يبرز البطل كمستخدم عملي ومتكيف للغة العربية شخص لا يفرض اللغة العربية كوسيلة وحيدة للتواصل، ومع ذلك لا يفقد هويته عندما لا يتم فهمها. وبدلا من ذلك، أصبح شخصا مبدعا في التواصل بين الثقافات.

قدّمت البيانات ID4-02 حالة مختلفة. إن المشكلة هنا ما مثّلت في غياب لغة مشتركة فحسب، بل في سوء تفسير عنصر ثقافي عربي. الشيشة، التي تعتبر ممارسة اجتماعية شائعة في السياقات العربية، ينظر إليها بدلا من ذلك على أنها شيء مريب. في مثل هذه الحالة، ما استطاع بطل الرواية ''التحدث'' ببساطة؛ يجب عليه أن شرح ويوضح ويمثل عالمه الثقافي للآخرين. بمعنى آخر، ينتقل من موقع المسافر إلى منصب المترجم الثقافي.

يمكن فهم هذه البيانات على أنها لفتة إثنوغرافية ذاتية، بما يتماشى مع نظرية ماري لويز برات، حيث يمثل الشخص الموجود في منطقة الاتصال ثقافته الخاصة استجابة لكيفية تفسيرها من قبل الآخرين (برات، ١٩٩٢). على الرغم من أن السياق يختلف عن البيئات الاستعمارية الكلاسيكية، إلا أن الآلية متشابهة: لا يسمح بطل الرواية بتعريف الرموز الثقافية العربية من جانب واحد من خلال وجهات نظر خارجية، ولكنه

بدلا من ذلك شرح معناها من الداخل. ولذلك، فإن الهوية المتكونة في البيانات ID4-02 هي هوية مستخدم اللغة العربية كمتحدث ثقافي. فهو لم يعد استخدم اللغة لأغراض عملية فحسب، بل أيضا للدفاع عن معنى الثقافة العربية من سوء الفهم. وينتج عن ذلك هوية ثقافية تمثيلية، حيث يعمل بطل الرواية كمترجم عفوي ومدافع عن الثقافة العربية داخل منطقة الاتصال.

أشارت البيانات ID4-03 إلى أنه في مرحلة معينة، أصبحت اللغة أداة للمقاومة. لم يعد البطل استخدم اللغة لإجراء المعاملات أو شرح الثقافة، بل لتحدي المعاملة غير العادلة. و لاحظ أن المسؤولين يعطون الأولوية للسياح الأجانب و وردّ بحجج ترتكز على المبادئ وليس العاطفة. فهو لا يصمت ولا يكتفي بالشكوى، بل يعبر عن موقفه على أساس المنطق والقواعد والإنصاف.

ومن خلال هذه التجربة، لم تعد الهوية التي تشكلت مجرد هوية مستخدم للغة العربية، بل هوية مدافع فعال. يظهر بطل الرواية كموضوع مدرك لكرامته وقادر على استخدام اللغة لمقاومة التبعية. وفي إطار برات، يوضح هذا أن منطقة الاتصال مرتبطة دائما بعلاقات القوة. ما واجه البطل ثقافات أخرى فحسب، بل يواجه أيضا أنظمة تضع مجموعات معينة فوق مجموعات أخرى. وفي هذا السياق، أصبحت اللغة وسيلة للمقاومة (برات، ٢٠٠٨). وهكذا فإن الهوية التي تشكلت في البيانات ID4-03 هي هوية المدافع المبدئي، أي الذات التي استخدم اللغة لمعارضة الظلم وتأكيد حقوقه في المجال العام.

عند فحصها ضمن الإطار العلمي الأوسع المستخدم في هذا البحث، أوضحت ديناميكيات اللغة في هذا القسم الفرعي أن التواصل في كتابة الرحلات ليس محايدا أبدا، ولكنه مرتبط دائما بموقع الموضوع ضمن العلاقات الثقافية. وفي هذا الصدد، يساعد كارل تومسون (٢٠١١) في توضيح أن اللقاءات بين الذات والآخر غالبا ما ت كشفت من خلال التوتر اللغوي والاختلافات في المعنى. ويتجلى ذلك في بيانات

إسطنبول وتونس، حيث لا يواجه بطل الرواية قيودا لغوية فحسب، بل يجب عليه أيضا بناء المعنى من خلال التفاعل غير الكامل. وبالمثل، أكّد بريا وحميد (٢٠٢٥) على أن الحوار وتبادل المعنى يكمنان في جوهر تجربة السفر، وهو ما ينعكس في هذا القسم الفرعي في ممارسات الاتصال الإبداعية والظرفية.

ومع ذلك، أوضحت هذا البحث أيضا أن اللغة ليست مجرد وسيلة للتواصل، ولكنها ساحة متعددة الطبقات لتكوين الهوية. على عكس ستيفانوفيتش ولوبيتشيتش (٢٠٢٣)، اللذين ينظران إلى منطقة الاتصال على نطاق واسع باعتبارها مساحة للقاء الثقافي، يوضح هذا القسم الفرعي أن اللغة يمكن أن شكّلت موقف الموضوع بشكل أكثر تحديدًا: كمفاوض، وممثل ثقافي، وموضوع مقاوم. وعلاوة على ذلك، في حين تؤكد ناديا تشيلوينا (٢٠٢٥) على الهوية باعتبارها انعكاسا، فإن البيانات هنا كشفت أن الهوية تتشكل بنشاط من خلال الفعل اللغوي نفسه. ومن ثم، تؤكد هذا البحث أن اللغة ليست مجرد وسيلة لنقل الخبرة، بل هي مساحة أساسية يتم فيها التفاوض على الهوية والحفاظ عليها داخل منطقة الاتصال.

تتشكل هوية بطل الرواية كمستخدم ومدافع عن اللغة العربية من خلال ثلاث عمليات متميزة. في البيانات ID4-01، الهوية التي تم تشكيلها هي هوية المفاوض اللغوي التكيفي، حيث أنشأ البطل بإنشاء طرق جديدة للتواصل في غياب لغة مشتركة. في البيانات ID4-02، الهوية التي تم تشكيلها هي هوية المتحدث باسم الثقافة العربية، حيث شرح البطل و دافع عن معنى القطع الأثرية الثقافية الخاصة به. في البيانات ID4-03، الهوية التي تم تشكيلها هي هوية المدافع المبدئي، حيث استخدم البطل اللغة لمقاومة المعاملة غير العادلة. وهكذا، وبشكل صريح ضمن الإطار النظري لماري لويز برات، يوضح هذا القسم الفرعي أن مناطق الاتصال التواصلية لا تنتج تكيفًا عمليًا فحسب، بل تشكل أيضا بطل الرواية إلى موضوع متكيف وممثل ومقاوم في نفس الوقت.

٥. هوية الشخصية باعتباره وريثا للحضارة الإسلامية تم بناؤها من خلال لقاءات مع الأماكن المقدسة والتراث التاريخي

لم تعد هوية البطل تتشكل من خلال الممارسات اليومية مثل الطعام أو الملابس أو التواصل، بل من خلال لقاءاته مع الأماكن التي تحافظ على آثار الحضارة الإسلامية. لذلك، لا يحضر البطل بوصفه مسافرا محايدا. إنه يقترب من هذه الأماكن بإحساس بالألفة والذاكرة وموقف تقييمي معيّن. في إطار ماري لويز برات، تفهم منطقة الاتصال على أنها مساحة اجتماعية تلتقي فيها الثقافات ضمن علاقات غير محايدة، بحيث لا تكتفي الذات بالرؤية فحسب، بل بل تحدد موقعها إزاء ما تراه (برات، ١٩٩٢). بالنسبة لهذا القسم الفرعي، يستند التحليل أيضا إلى كلارك الذي أكّد أنه في كتابة الرحلات، غالبا ما تجسد الأماكن لقاءات بين الماضي والحاضر، مما يجعل السفر في نفس الوقت فعل قراءة التاريخ والذاكرة والتراث (كلارك، ٢٠١٨، ص ٥٥ – ٥٦). وهكذا فإن هوية البطل في البيانات التالية لا تتشكل من خلال المساحات المادية فحسب، بل أيضا من خلال الطريقة التي فسّر بها هذه المساحات كجزء من التاريخ الإسلامي الذي الذي لا يزال حيا، أو الذي يتعرض، على العكس من ذلك، للتهميش.

الجدول ٤,١٠: بيانات تشكيل الهوية من خلال الفضاء الحضاري

الرقم	الرمز	الاقتباس	الصفحة	المكان	العنصر الثقافي	السياق
١	ID5-01	وتزخر اسطنبول بالعمائر الإسلامية من مساجد ومدارس وأضرحة ومن أهمها المسجد السليماني-1550) 1557) وهو أجمل وأفخم	٢٦	إسطنبول	طريقة خلع الأحذية في المسجد: في مسجد "يني جامع" بإسطنبول تُوفَّر أكياس بلاستيكية شفافة لوضع الأحذية وحملها داخل المسجد.	منطقة اتصال طقسية: يشترك مجتمعان مسلمان (التركي والعربي) في فضاء عبادي واحد، لكن تختلف الإجراءات البسيطة المرتبطة بالممارسة.

		مساجد اسطنبول (Shabloul, 2006, pp. 17–18)				يعكس هذا الاختلاف تكيّفاً ثقافياً محلياً في الإسلام التركي يختلف عن نظيره العربي
٢	ID5-02	أخيرا وصلنا إلى جامع قرطبة الشهير يتسع لحوالي ثمانين ألف مصل وبه نحو ألف عمود ويقال إنه أكبر جامع في أوروبا كلها لكن قلت لصاحبي: إن المسجد الحرام والمسجد النبوي يعدان بين أكبر مساجد العالم اليوم (Shabloul, 2006, pp. 48–49).	٢٦	قرطبة	المصافحة بعد الصلاة: من التقاليد العربية مصافحة الجالسين عن اليمين واليسار بعد التسليم تعبيراً عن الأخوّة، بينما لا يمارس الأتراك هذا السلوك، بل يكتفون بالسلام باتجاه الإمام ثم ينصرفون.	منطقة اتصال اجتماعية: اختلاف في التعبير عن التدين من خلال الإيماءات الاجتماعية بعد أداء العبادة
٣	ID5-03	وبعد هذه الجولة في دبي الحديثة تاقت أنفسي إلى التعرف على دبي	٦٩	دبي	الاحتفال بعيد الأضحى عبر ثقافات متعددة: حضر الاحتفال مصريون	منطقة اتصال عابرة للجنسيات: يتحول الاحتفال الإسلامي إلى فضاء تلتقي فيه

		القديمة فطلبت من الأخ بلال البدور الذهاب للأحياء القديمة لأشم عبير الماضي وأتلمس خيوطه وزرنا بيت التراث والمدرسة الأحمدية (Shabloul, 2006, p. 64).			وأتراك وكويتيون، وتضمّن المأدبة أطعمة تركية تقليدية للعيد مثل (البوريك، الدولما، الشاي)، مع فصل أماكن جلوس النساء في شقق مستقلة وفق العرف التركي	جماعات مسلمة مختلفة الخلفيات، حيث تمثل الكويت "أرضاً محايدة" تتيح التعايش والاحتفال المشترك بعيداً عن التوترات التاريخية

صوّرت البيانات ID5-01 إسطنبول وعظمة مساجدها الإسلامية، وخاصة مسجد السليمانية، مما يدل على أن بطل الرواية ينظر في البداية إلى إسطنبول كمدينة ذات تراث إسلامي. ولا يبدأ بجوانبها السياحية الحديثة، بل بآثار العمارة الإسلامية التي تملأ المدينة. وهذا يدل على أن بطل الرواية قرأ إسطنبول منذ البداية من خلال عدسة حضارية. وما يراه ليس مجرد مباني جميلة، بل هو دليل على عظمة التاريخ الإسلامي الذي لا يزال قائما أمامه.

الهوية المتكونة في هذه البيانات هي هوية الوارث التأكيدي. و أكّد البطل نفسه كجزء من سلالة الحضارة الإسلامية و فسّر إسطنبول كمساحة تعزز هذا الوعي. إنه لا بحث عن هويته، بل أعاد اكتشاف الآثار التي تجعل تلك الهوية تبدو صالحة وحيوية. يرتبط هذا الموقف ارتباطًا وثيقًا بمفهوم الرجل الناظر في نظرية ماري لويز برات، حيث يتصرف فاعل أعاد بناء المعنى للمساحة التي يواجهها (برات، ٢٠٠٨). لكن هذه الملاحظة ليست محايدة، إذ شعر البطل بارتباط عاطفي وتاريخي بالتراث.

أظهرت البيانات ID5-02 أنه عندما وصل بطل الرواية إلى مسجد قرطبة وسمع وصفه بأنه أكبر مسجد في أوروبا، فإنه لا يقبل هذه المعلومات بشكل سلبي. وردّ على

الفور بالتذكير بأن المسجد الحرام في مكة والمسجد النبوي في المدينة المنورة من أكبر المساجد في العالم. إن هذه الاستجابة مهمة لأنها أوضحت أن بطل الرواية لا يعجب بقرطبة كجزء من التراث الإسلامي فحسب، بل يقاوم أيضا حصر عظمة الإسلام في إطار أوروبي. وهو يحول المنظور من مركز أوروبي إلى مركز إسلامي.

يوضح هذا اللقاء أن التعامل مع المساحات التراثية لا يثير الإعجاب فحسب، بل يولد موقفا أيضا. الهوية المتكونة في هذه البيانات هي هوية الوريث المقاوم. يرفض بطل الرواية السماح بتفسير التراث الإسلامي من منظور خارجي فقط، وبدلا من ذلك أعاد ربطه بالمراكز الحية للحضارة الإسلامية. وفي إطار برات، يوضح هذا أن الموضوع في منطقة الاتصال ليس مجرد مراقب، بل هو أيضا وكيل أعاد بناء المعنى من خلال ما يواجهه (برات، ٢٠٠٨). بمعنى آخر، يظهر وريثا دافع عن كرامة إرثه التاريخي من خلال موقفه التقييمي.

أظهرت البيانات ID5-03 أن رغبة بطل الرواية في استكشاف دبي القديمة ليست مدفوعة بالفضول فحسب، بل بدافع داخلي. و رأى أن حداثة دبي لا تكفي لتفسير هوية المدينة بشكل كامل. ولذلك يطلب أن يؤخذ إلى أحيائه القديمة، كما هو مبين في عبارة ''لشم رائحة الماضي وتتبع خيوطه'' (شم رائحة الماضي وتتبع خيوطه). يكشف هذا التعبير أن الماضي بالنسبة للبطل ليس بعيدا أو ميتا، بل هو شيء يرغب في إعادة تجربته. وبذلك أصبحت دبي القديمة مساحة مهمة في تشكيل هويته.

صوّرت هذه البيانات بطل الرواية كمراقب غير مفتون بالمظاهر السطحية. وبدلا من ذلك، اختار التعامل مع الآثار التاريخية واستخدمها كأساس للفهم. الهوية التي تشكلت هنا هي هوية الوريث المتأمل. توافقت هذه النتيجة مع وجهة نظر ماري لويز برات، حيث أن بطل الرواية لا تعترف بالتراث الإسلامي كشيء عظيم فحسب، بل تشعر أيضا بالحاجة إلى الحفاظ على ذاكرته وفهم آثاره وإعطائه الأولوية على جاذبية الحداثة (برات، ٢٠٠٨). وهكذا يظهر كالوريث الواعي للقيمة، وليس مجرد زائر.

أظهر تفسير البيانات ID5-01 إلى ID5-03 أوجه تشابه مع الدراسات السابقة التي تنظر إلى السفر باعتباره مساحة للقاءات ذات معنى ثقافي تتشكل من خلال علاقات القوة. أشارت الأبحاث التي أجراها ستيفانوفيتش ولوبيتشيتش (٢٠٢٣)، وفان دير مير (٢٠٢٤)، وإيجرتر (٢٠٢٥) إلى أن مساحات السفر ليست محايدة أبدا، بل عملت كساحات للمعاني والمنظورات المتنافسة. ويتجلى هذا في بيانات قرطبة، حيث لا لاحظ بطل الرواية كيفية تأطير التراث الإسلامي فحسب، بل يستجيب له أيضا.

علاوة على ذلك، تؤكد الدراسات التي أجراها بريا وحميد (٢٠٢٥) ونادية تشيلوينا (٢٠٢٥) أن السفر يحفز التأمل وتكوين الهوية، كما يظهر في بيانات إسطنبول ودبي. ومع ذلك، تختلف هذا البحث من حيث أنها لا تدرس اللقاءات الثقافية أو التفكير العام في الهوية فحسب، بل أوضحت أن اللقاءات مع الأماكن المقدسة تنتج أشكالا متعددة الطبقات ومحددة من الهوية. في البيانات ID5-01، تكون الهوية إيجابية؛ وفي ID5-02، أصبحت مقاومة؛ وفي ID5-03، أصبحت عاكسة.

وهكذا، على عكس دراسات مثل جينا إي. كيم (٢٠٢٤)، الذي يؤطر منطقة الاتصال بمصطلحات أوسع، أو دين كاريوكي وجويدو فان ميرسبيرجن (٢٠٢٤)، اللذين أكّد ان على نقد إنهاء الاستعمار، يوضح هذا البحث بشكل أكثر تحديدا كيف تشكل الأماكن المقدسة تصنيفا للهوية وريثا للحضارة الإسلامية من خلال عمليات التأكيد والمقاومة والتفكير داخل منطقة الاتصال.

إن هوية البطل باعتباره وريث الحضارة الإسلامية مبنية على ثلاثة اتجاهات مختلفة. ويظهر في بيانات إسطنبول وريثا إيجابيا، إذ رأى أن التراث الإسلامي شيء دائم يعزز وعيه الحضاري. ويظهر في بيانات قرطبة وريثاً مقاوماً، إذ شعر بالحاجة إلى الدفاع عن كرامة التراث الإسلامي من التفسيرات الاختزالية. وفي بيانات دبي، يظهر باعتباره وريثًا متأملًا، حيث اختار بوعي التعامل مع الماضي وسط ضغوط الحداثة. وهكذا، عند تحليل هذا القسم الفرعي من خلال نظرية ماري لويز برات، فإنه يوضح أن اللقاءات مع

الأماكن المقدسة والتراث التاريخي لا تسمح للبطل بمراقبة الحضارة الإسلامية فحسب، بل شكّلته بنشاط في موضوع يعترف بمعناها و دافع عنه ويحافظ عليه.

قبل أن يبدأ أحمد فاضل شبلول رحلته، كان حمل هوية متشكّلة بقوة من خلفيته الثقافية والجغرافية والدينية. فبوصفه كاتبًا ينتمي إلى الإسكندرية في مصر، جاء بهوية مسلم عربي مصري راسخة: مراقب متكيّف ومتواصل مع الآخرين، لكنه ظل يستند إلى الإطار الثقافي العربي بوصفه المرجع الأساسي في فهم العالم. وكان يفهم ممارساته الإسلامية بوصفها أمرا طبيعيا وعالميا، من غير أن يدرك أن تلك الممارسات قد تشكّلت في الحقيقة داخل المحلية الثقافية العربية المصرية التي نشأ فيها. كما أن نظرته إلى اللباس الإسلامي بقيت مرتبطة بالافتراضات التي حملها من بيئته العربية، وطريقته في فهم الطعام ظلت ذات طابع عربي حضري، أما في جانب اللغة فلم يكن قد اختبر بعد لأصبح متحدّثًا باسم ثقافته أمام الغرباء. ولذلك يمكن القول إن هوية فاضل قبل الرحلة كانت هوية متجذّرة بقوة، لكنها لم تكن بعدُ هويةً انعكاسية بالكامل؛ فقد كان يعرف من يكون، لكنه لم يكن يدرك تمامًا أن ''من يكون'' هذا ما هو إلا بناء ثقافي خاص، لا انعكاسًا لحقيقة عالمية مطلقة .

وبعد أن خاض رحلة طويلة من إسطنبول إلى قرطبة، شهدت هوية فاضل تحوّلا ملحوظًا عبر خمسة ميادين مختلفة من فضاءات الاتصال الثقافي. فمن خلال مواجهته لتنوّع الممارسات الطقسية الإسلامية، تطورت هويته من مسلم عربي يظن أن ممارساته ذات طابع عالمي إلى مسلم عابر للحدود ومتقبّل لتعدّد أشكال التعبير عن الإسلام. ومن خلال اللقاءات المرتبطة بالطعام، تحوّل من مستهلك عربي حضري إلى الرجل الناظر ذي نظرة غذائية–بيئية، قادر على قراءة الطعام بوصفه مرآة للعلاقة بين الإنسان والطبيعة والثقافة، ومدركًا في الوقت نفسه لديناميات التثاقف داخل مجتمعات الشتات.

أما من خلال اللقاء بثقافة اللباس، فقد انتقلت هويته من قارئ للرموز تحكمه الافتراضات المسبقة إلى مراقب سياقي وتأملي يفهم العلاقة بين الإسلام والجندر والفضاء

الاجتماعي. ومن خلال التفاعل اللغوي العابر للثقافات، تطور ليصبح مفاوضًا لغويًا متكيّفًا، ومتحدثًا عفويًا باسم الثقافة العربية، ومدافعًا مبدئيًا عن الكرامة. ومن خلال مواجهته للفضاءات المقدسة وإرث الحضارة الإسلامية، تعززت هويته بوصفه وريثًا تأكيديا ومقاوما وتأمليا في آن واحد. وهكذا، فإن فاضل العائد من الرحلة أصبح ذاتًا أكثر تعقيدًا وتعدّدا؛ ما يزال متجذرًا في هويته الإسلامية العربية المصرية، لكنه بات امتلك وعيا أعمق بأن تلك الهوية ليست الطريقة الوحيدة لفهم العالم .

واستنادا إلى البيانات التي عرضت في الأقسام الفرعية الخمسة السابقة، استنتجت الباحثة أن هوية الشخصية الرئيسة في رواية من إسطنبول إلى قرطبة ما ظهرت بوصفها شيئًا ثابتًا أو مكتملا أو أحاديا منذ بداية الرحلة. بل إن هذه الهوية تتشكّل تدريجيا، وعلى نحو متراكم ومتعدد الطبقات، وتظل خاضعة للتفاوض المستمر عبر سلسلة من اللقاءات الثقافية داخل فضاء الاتصال الثقافي، بحيث تنتج كل ساحة من ساحات اللقاء شكلا خاصا ومختلفا من الهوية .

في البيانات الأولى (الجدول ٤,٦)، تشكّلت الهوية الإسلامية للشخصية عبر مسار تصاعدي من الوعي بالسياق الثقافي المحلي إلى الانفتاح على التعددية الإسلامية. ففي البيانات ID1-01 أدرك البطل أن صوّرت هـ للعلاقة بين الدين والدولة ومكانة يوم الجمعة في الفضاء العام ليس معيارًا إسلاميًا مطلقًا، بل نتاج مرجعية ثقافية محلية تشكّلت في بيئته العربية الإسلامية. وفي البيانات ID1-02 أصبح قادرًا على التمييز بين الإسلام بوصفه دينًا والتعبيرات الثقافية العربية المرتبطة به، حين اكتشف أن بعض الممارسات التي اعتادها ليست جزءًا من الدين ذاته، بل من العادات الاجتماعية المرتبطة به. أما في البيانات ID1-03 فقد تطورت هويته نحو هوية إسلامية مصرية أكثر انفتاحًا على التعددية الثقافية وتحمل نزعة تثاقفية عابرة للحدود، حيث أدرك إمكانية التعايش بين أشكال مختلفة من التعبير عن الانتماء الإسلامي داخل فضاء واحد.

وفي البيانات الثانية (الجدول ٤,٧)، تشكّلت هوية الشخصية بوصفه مراقبًا للطعام من خلال ثلاث آليات مترابطة. ففي البيانات ID2-01 ظهر البطل بوصفه رجلًا ناظرًا (*seeing-man*) امتلك حساسية ثقافية وبيئية تجاه الممارسات الغذائية المختلفة، وفي البيانات ID2-02 تشكّلت هويته بوصفه مسافرًا عربيًا مرنًا قادرًا على التفاوض بين المألوف والغريب عند مواجهة أنماط غذائية جديدة، أما في البيانات ID2-03 فقد تطورت هويته إلى مراقب للشتات الغذائي امتلك وعيًا بالتثاقف، حيث أصبح قادرًا على إدراك انتقال العناصر الغذائية بين الثقافات وإعادة تشكيلها داخل سياقات جديدة.

وفي البيانات الثالثة (الجدول ٤,٨)، بُنيت هوية الشخصية بوصفه مسلمًا عربيًا عبر تفاوض أيديولوجي مع سياسات العلمنة في البيانات ID3-01، و *"seeing-man"* تأملي قادر على رؤية رموزه الثقافية الخاصة بوصفها ''آخر'' في البيانات ID3-02، وذات سياقية تميل إلى التثاقف المعرفي في قراءة اللباس الإسلامي والجندر في البيانات .ID3-03 .

وفي القسم الفرعي الرابع (الجدول ٤,٩)، تشكّلت هوية الشخصية بوصفه مستخدمًا ومدافعًا عن اللغة العربية بصورة متعدّدة الطبقات: مفاوضا لغويا متكيّفا في البيانات ID4-01، ومتحدثًا باسم الثقافة العربية عبر ''الإيماءة الإثنوغرافية الذاتية'' *(autoethnographic gesture)* في البيانات ID4-02، ومدافعًا مبدئيًا استخدم اللغة بوصفها وسيلة للمقاومة في البيانات .ID4-03.

أما في البيانات الخامسة (الجدول٤,١٠)، فقد بنيت هوية الشخصية بوصفه وريثًا للحضارة الإسلامية عبر ثلاثة اتجاهات مختلفة: وريثا تأكيديا عند مواجهته للإرث الإسلامي في إسطنبول في البيانات ID5-01، ووريثا مقاوما عند مواجهته لاختلال إدارة مسجد قرطبة في البيانات ID5-02، ووريثا تأمليا حين اختار آثار دبي القديمة وسط ضغط الحداثة في البيانات .ID5-03.

وبصورة عامة، ظهرت هذه الأقسام الفرعية الخمسة أن تشكّل هوية الشخصية في رواية *من إسطنبول إلى قرطبة* يتميز بالدينامية والتراكم والتعددية. فالشخصية لا تفقد

هويتها الأساسية بوصفها مسلمًا عربيًا مصريًا، بل تخضع هويتها لعملية مستمرة من المراجعة وإعادة التفسير والتطوير عبر تجارب السفر المتعاقبة. وقد انتقلت هذه الهوية من الوعي بخصوصية مرجعيتها الثقافية، إلى القدرة على التمييز بين الدين والثقافة، ثم إلى الانفتاح على التعددية الإسلامية، قبل أن تتوسع لتشمل أبعادًا غذائية وفكرية ولغوية وحضارية أكثر تعقيدًا. وبهذا أصبحت الهوية أكثر مرونة وسياقية وقدرة على استيعاب الاختلاف دون التخلي عن مرتكزاتها الأساسية.

ويتوافق هذا المسار مع جوهر نظرية ماري لويز برات، التي تنظر إلى منطقة الاتصال بوصفها فضاءً لا يقتصر على لقاء الثقافات المختلفة، بل يسهم أيضا في إعادة تشكيل الذات. فالبطل لا يكتفي بملاحظة الآخر أثناء الرحلة، بل أعاد اكتشاف نفسه من خلال تلك اللقاءات. ومن ثمّ فإن الهوية في الرواية لا تُقدَّم بوصفها جوهرًا ثابتًا ومكتملًا، وإنما بوصفها عملية مستمرة من التفاوض والتشكّل داخل فضاءات الاتصال الثقافي. ولذلك يمكن القول إن الرحلة في *من إسطنبول إلى قرطبة* لم تكن انتقالًا جغرافيًا فحسب، بل كانت أيضا رحلةً في إعادة بناء الهوية وفهم الذات عبر التفاعل مع أشكال متعددة من الاختلاف الثقافي داخلالعالم الإسلامي وخارجه.

الفصل الخامس

الخاتمة

أ. الخلاصة

بعد إجراء البحث والتحليل على رواية *من إسطنبول إلى قرطبة* لأحمد فاضل شبلول استنادا إلى نظرية أدب الرحلة عند ماري لويز برات، توصّل الباحثة إلى عدد من النتائج المتعلقة بأشكال مناطق الإتصال *(contact zone)* وكذلك بعملية شكّلت هوية الشخصية في فضاء التلاقي الثقافي:

ظهر هذا البحث أنَّ منطقة التماس (*Contact Zone*) في رواية *من إسطنبول إلى قرطبة* تجلّت في خمسة مجالات رئيسة، هي: الممارسات الدينية، والطعام، واللباس، واللغة، والفضاءات المقدّسة والتاريخية. ففي الممارسات الدينية، ظهرت منطقة التماس من خلال اختلاف طرائق العبادة، والإيماءات الاجتماعية، وقواعد الفضاء القائمة على النوع الاجتماعي، مما أكّد أن التفاعل لا يحدث فقط بين ثقافات مختلفة، بل أيضا داخل الإطار الإسلامي نفسه، مع علاقات قوة غير متكافئة أحيانا. أمّا في مجال الطعام، تجلّت منطقة التماس في اللقاء مع أنظمة غذائية محلية، وتجارب تجمع بين المألوف والغريب، وممارسات الشتات التي تعكس عملية التثاقف(*Transculturation*) وفيما يتعلق باللباس، فإن اختلاف سياسات الدولة، والتصورات المجتمعية لجسد المرأة المنتقبة، وممارسات اللباس في الفضاء العام، كشفت أن الجسد أصبح ساحة للتفاوض بين الدين والثقافة والمعايير الاجتماعية. وفي جانب اللغة، ظهرت منطقة التماس من خلال استراتيجيات التواصل غير اللفظي، وسوء الفهم الثقافي، واستخدام اللغة بوصفها أداة للمقاومة. أمّا في الفضاءات المقدّسة والتاريخية، فإن التقاء الرموز الدينية المختلفة، وقيود الوصول إلى بعض

أماكن العبادة، والعلاقة بين التراث التاريخي والحداثة، تؤكد أن الفضاء ليس محايدًا، بل مشحون بعلاقات القوة وصراعات المعنى. وبذلك، فإن هذه الأشكال الخمسة تدل على أن كل تفاعل ثقافي في الرواية ينطوي على تفاوض وديناميات قوة، سواء بصورة صريحة أم ضمنية.

تتشكّل هوية الشخصية بصورة ديناميكية من خلال خبراتها داخل منطقة التماس. إذ تطوّرت الهوية الإسلامية ل أصبحت أكثر تأمّلا مع إدراك أن الممارسات الإسلامية ذات طابع محلي ومتعدد. وفي مجال الطعام، تتكوّن لدى الشخصية هوية بوصفها ملاحِظة قادرة على قراءة العلاقة بين الغذاء والبيئة وعملية التثاقف. وبصفتها مسلما عربيا، ظهرت الشخصية موقفا تأمليا تجاه علاقة الدين بالدولة، مع وعي بموقعها بوصفها ''الآخر'' في نظر الثقافات الأخرى. وفي جانب اللغة، تؤدي الشخصية دور مستخدم متكيّف وممثّل ثقافي في آن واحد، وتستثمر اللغة كأداة للمقاومة. أمّا في علاقتها بالفضاءات المقدّسة والتاريخية، فتبني الشخصية هوية بوصفها وارثة للحضارة، تتسم بالموقف التأكيدي والنقدي والتأملي تجاه السرديات التاريخية. وبذلك، فإن الهوية في هذه الرواية ليست ثابتة، بل تتشكل عبر عملية تفاوض مستمرة، بوصفها نتاج التفاعل والخبرة والتأمل ضمن مختلف مناطق التماس.

ب. التوصيات

مازال هذا البحث يعاني من بعض المحدوديات، خاصة لاقتصاره على مفاهيم *Contact Zone ,Transculturation, Seeing-Man* ضمن إطار نظرية ماري لويز برات. لذلك، يتوقّع من الدراسات اللاحقة أن تطوّر هذا المجال من خلال توظيف مقاربات

نظرية أخرى، مثل الاستشراق أو دراسات الجندر ما بعد الاستعمار، بما يتيح قراءة أوسع لتمثيلات النص الروائي.

كما يمكن للبحوث المستقبلية إجراء دراسات مقارنة مع أعمال أخرى من أدب الرحلة العربي، بهدف الكشف عمّا إذا كانت أنماط التفاعل الثقافي شكّلت الهوية التي توصّل إليها هذا البحث مثّلت خصوصية هذا النص، أم تعكس اتجاهًا عامًا في أدب الرحلة العربي الحديث.

إضافة إلى ذلك، ما تناول هذا البحث مفهوم Anti-Conquest عند برات، لذا يمكن للدراسات القادمة أن تدرج هذا المفهوم لتعزيز تحليل استراتيجيات التمثيل في النص. وبذلك، يُؤمَل أن تسهم الدراسات المستقبلية في تطوير مجال أدب الرحلة العربي، وأن تقدّم فهمًا أعمق لديناميات التفاعل الثقافي شكّلت الهوية في تجربة الرحلة.

قائمة المصادر والمراجع

المراجع العربية

حلوينا. (٢٠٢٥). تمثيل المكان والهوية في أدب الرحلة: دراسة لرواية (حمار الحكيم) لتوفيق الحكيم من منظور كارل طومسون.

قنديل، فؤاد. (٢٠٢٢). أدب الرحلة في التراث العربي، ص ٢٥.

مؤليد. (٢٠٢٣). أدب الرحلة عند كارل طومسون في (جولة ربع آسيا) لمحمد ثابت.

موافي، أنصر عبد الرزاق. (١٩٩٥). الرحلات في الأدب العربي حتى نهاية القرن الرابع الهجري.

ناز، ر.، وفاضل، م. (٢٠١٧). أدب الرحلات: أهميته وأسلوبه وخصائصه وتطوره، ص ١٧١–١٨٦.

الندى، قطر ف. أ. (٢٠٢٥). تمثيل الرحلة في كتاب (تذكر الصبا) لمحمد لطفي جمعة: دراسة من منظور نظرية أدب الرحلة لكارل طومسون.

المراجع الأجنبية

Adelia, W., Suryani, I., & Kartika Putri, A. (2024). Representasi Sastra Perjalanan dalam Novel Brianna dan Bottomwise Karya Andrea Hirata. *Kajian Linguistik Dan Sastra*, *3*(1), 81–88. https://online-journal.unja.ac.id/kal

Aegerter, J., & Ola, S. (2025). Digital platforms as contact zones : urban reshaping and colonial aesthetics in Palermo. *Sciendirect*, *9*(December 2024). https://doi.org/10.1016/j.diggeo.2025.100127

Akram, P. (2023). *Penggambaran Dunia dalam Buku Tembok, Polanco, dan Alien karya Azhari Aiyub* (Issue 2004) [Universitas Nasional]. http://repository.unas.ac.id/id/eprint/9497

Alcantara, C. F. de. (2009). Imperial Eyes: A Second Look. *Palimpsesto*, *8*(8), 1–6. https://www.e-publicacoes.uerj.br/palimpsesto/article/view/35729

Aouf, F. (2025). The Contemporary Arab Reader's Reception of the Digital Novel: Between Acceptance and Rejection. *Science, Education and Innovations in the Context of Modern Problems*, *8*(5), 620–626. https://doi.org/10.56334/sei/8.5.64

Catherine, H. (1993). Riview of Women ' s Orients : English Women and the Middle Discourses of Difference : An Analysis of Women ' s Travel Writing and Colonialism Imperial Eyes : Travel Writing and Transculturation. *JSOTR*,

132–136. https://www.jstor.org/stable/i260649

Clarke, R. (2018). The Cambridge companion to postcolonial travel writing. In R. Clarke (Ed.), *The Cambridge Companion to Postcolonial Travel Writing* (Vol. 2). Cambridge University Press. https://doi.org/10.1017/9781316597712

Dahlan, T. (2022). *Metedologi Penelitian: Pendekatan Multidisipliner* (A. Sudirman (ed.); p. 31). Media Sains Indonesia. https://repo-dosen.ulm.ac.id/bitstream/handle/123456789/33948/Buku Digital -Pengantar Metodologi Penelitian.pdf?sequence=1

Din-Kariuki, N., & van Meersbergen, G. (2024). Travel studies and the decolonial turn. *Studies in Travel Writing*, *27*(2), 77–93. https://doi.org/10.1080/13645145.2024.2442435

Englert, B., & Vlasta, S. (2020). Travel Writing on the Interplay between Text and the Visual. *Mobile Culture Studies. The Journal*, *6*(2020), 7–20. https://doi.org/https://doi.org/10.25364/08.6:2020.1.1

Guelke, L., & Guelke, J. K. (2004). Imperial eyes on South Africa: reassessing travel narratives. *Journal of Historical Geography*, *30*(1), 11–31. https://doi.org/10.1016/S0305-7488(03)00029-X

Hall, S. (1990). Cultural Identity and Diaspora. In *Selected Writings on Race and Difference* (pp. 257–271). Duke University Press. https://doi.org/10.1215/9781478021223-016

Hasanah, U. (2019). *Sastra Perjalanan Dalam Khazanah Kesusastraan Arab: Sebuah Penelitian Awal. Penguatan Bahasa Arab Dalam Peradaban Dan Pendidikan: Antara Realita Dan Ekspektasi*. 27–45.

Hasbi, N. (2025). Memoar Perjalanan Di Tanah Papua Dalam Novel Sepasang Yang Melawan 2 Karya Jazuli Imam. Kajian Sastra Perjalanan. *Aufklarung: Jurnal Kajian Bahasa, Sastra Indonesia, Dan Pembelajarannya*, *4*(2), 20–27. https://doi.org/10.51574/aufklarung.v4i2.3161

Hidayah, A. T., Abdullah, A. A., & Atikurrahman, M. (2022). Anasir-Anasir Kisah Perjalanan dalam Helen dan Sukanta: Travel Writing Carl Thompson. *SULUK: Jurnal Bahasa, Sastra, Dan Budaya*, *4*(1), 47–56. https://doi.org/10.15642/suluk.2022.4.1.47-56

Kasimbara, D. C., & Wahyuningsih. (2024). Representasi the Other dalam Novel Cinta Putih di Bumi Papua Karya Dzikry El Han: Tinjauan Sastra Perjalanan Carl Thompson. *Kajian Linguistik Dan Sastra*, *9*(1), 116–131. https://doi.org/10.23917/kls.v9i1.5209

Kim, J. E. (2024). Rethinking the “Arts of the Contact Zone” after thirty years: Korea between the Cold War and decolonization. *Inter-Asia Cultural Studies*, *25*(2), 157–160. https://doi.org/10.1080/14649373.2024.2311524

Luhfi, M., & Anggi Puspitasari. (2025). A Contradictory Relations And Perpetuation Of Colonial Discourse In Indonesia Dari Pinggir By Fatris Mf. *Mahakarya: Jurnal Mahasiswa Ilmu Budaya*, *6*(2), 85–98. https://doi.org/10.22515/msjcs.v6i2.11600

Mashlihatin, A. (2022). Etic and politic implications in 99 Cahaya di Langit Eropa

as a travel literature. *Diksi*, *30*(2), 199–209. https://doi.org/10.21831/diksi.v30i2.61819

Mashun. (2017). Metode Penelitian Bahasa. In *Fakultas Adab dan Humaniora UIN Sunan Ampel Surabaya* (kedua). http://eprints.unram.ac.id/29724/1/KUM C2. Buku Metode Peneltian Bahasa.pdf

Miles, M. B., Huberman, A. M., & Saldana, J. (2014). *Qualitative Data Analysis* (H. Salmon (ed.); 3rd ed.). Sage Publication. https://www.scirp.org/reference/referencespapers?referenceid=1977773

Nasution, A. F. (2023). *Metode Penelitian Kualitatif* (M. A. Albina (ed.)). Harva Creatif.

Pratt, M. L. (1992). *Imperial Eyes: Travel Writing and Transculturation* (1st ed.). Routlege.

Pratt, M. L. (2008). *Imperial Eyes* (2nd ed.). Routledge.

Pratt, M. L. (2011). *Arts of the Contact Zone Arts of the Contact*. *1991*, 33–40.

Pratt, M. L. (2022). *Planetary Longings*. Duke University Press.

Priyaa, A. S. H., & Hameed, N. S. (2025). *Tales of the Land : The Oral Tradition in Contemporary Indian Travelogues*. 18–25. https://doi.org/https://doi.org/10.46947/jarj622025422

Riyanto, B. (2024). *Komunikasi antar Budaya* (H. K. Aji (ed.)). UNISRI Press. https://www.myedisi.com/unisripress/721543/komunikasi-antar-budaya

Said, E. W. (1979). *ORIENTALIsm*. Pantheon Books.

Salam, A. (2024). *Metode Penelitian Kualitatif*. CV. AZKA PUSTAKA. https://books.google.co.id/books?hl=id&lr=&id=ainKEAAAQBAJ&oi=fnd&pg=PA18&dq=penelitian+kualitatif+adalah+sugiyono&ots=u0ZbjHnbQi&sig=9-NeDhi0v3jxpJXWGDztthGmBnE&redir_esc=y#v=onepage&q=penelitian kualitatif adalah sugiyono&f=false

Schorch, P. (2015). Contact Zones, Third Spaces, and the Act of Interpretation. *Museum & Society*, *11*(1), 68–81. https://doi.org/10.29311/mas.v11i1.223

Shabloul, A. F. (2006). *Min Isṭanbūl ilā Qurṭubah karya*. Dar al-Wafaʾ li-Dunyā al-Ṭibāʿah wa al-Nashr.

Stevanović, N., & Lopičić, V. (2023). TRAVEL WRITING REVISITED: READING THE RIVER. *Facta Universitatis, Series: Linguistics and Literature*, *21*(2005), 041. https://doi.org/10.22190/FULL220910004S

Sugiyono. (2013). Metode Penelitian Kuantitatif, Kualitatif dan R &Metode Penelitian Kuantitatif, Kualitatif Dan R & D.Bandung:Alfabeta. In *Bandung:Alfabeta.* Alfabeta CV.

Thompson, C. (2011). *Travel Writing* (Vol. 4, Issue 1).

Utami, S. F., & Primadani, E. (2024). PENGGAMBARAN PRANCIS DALAM NOVEL ARAB FARAJ: KAJIAN SASTRA PERJALANAN CARL THOMPSON. *Prosodi*, *18*(2), 348–361. https://doi.org/10.21107/prosodi.v18i2.25292

van der Meer, A. (2024). “Come to Java”: Colonial Tourism and the Fragile

Illusion of an “Island Paradise.” *Itinerario*, *48*(3), 294–314. https://doi.org/10.1017/S0165115324000342

Wardatin, F. N., Setiawan, S., & Mustofa, A. (2022). *Exploring The Perception Of Efl University Students In Promoting Self-Directed Learning Through Travel Writing*. *6*(2), 330–343. Https://Doi.Org/10.30743/Ll.V6i2.6165

سيرة الذاتية

نينتا كارينا بيروتو، هي اسم الباحثة في هذا البحث الجامعي. وُلدت الباحثة في بنجر بارو، ١٠ نوفمبر ٢٠٠٣. بدأت تعليمها في روضة الأطفال كاسيه إيبو، وتخرجت فيها عام ٢٠١٠. ثم التحقت بالمدرسة الابتدائية الحكومية رينجكيت، وتخرجت فيها عام ٢٠١٦. وبعد ذلك، تابعت دراستها في المدرسة المتوسطة والثانوية دار الهجرة للبنات، وتخرجت فيها عام ٢٠٢٢. ثم استمرت الباحثة في دراستها بجامعة مولانا مالك إبراهيم الإسلامية الحكومية مالانج، في كلية العلوم الإنسانية، بقسم اللغة العربية وآدابها، وحصلت على درجة البكالوريوس عام ٢٠٢٦.